قصص من العالم الآخر 3

القط الأسود (وقصص أخرى)

تأليف: إدجار آلان بو

ترجمة: محمد عبد السميع — مراجعة: تامر فتحي

الناشران: دار ليلى - دايموند بوك

قصص من العالم الآخر

هذه السلسلة، تنقلك بين آفاق الأدب العالمي، إلى حيث عوالم أخرى لا نحياها، وحيث تلتقي بنوع متميز من الأدب..

لكنه نوع خاص جداً..

أدب الرعب ..

حيث ترتحل بين مصاصي الدماء، والمذوبين، وسارقوا الأزمان، وصانعوا الوحوش، والأساطير، و السحر الأسود.. و كل ما يمكن أن يثير خوفك، و لم تتوقعه في أشر أحلامك طراً..

كل هذا - و أكثر- نقدمه لك في إطار متميز من الترجمة الأمينة، والدقيقة، حيث ننقل لك عالماً بعيداً ، بين يديك ..

عزيزي القارئ ..

إنها ليست أي قصص ..

بل هي قصص من العالم الآخر.

* * *

محمد سامي

قصص من العالم الآخر

3

القط الأسود (وقصص أخرى)

قصص من العالم الآخر

●

أروع قصص الرعب العالمي
بين يديك
في ترجمة متميزة.

●

التصحيح :

أ. محمد عيد

●

رقم الإيداع:

2006/25030

الإشراف العام:

أ. محمد سامي – م. سند راشد دخيل

جمهورية مصر العربية :
دار ليلى للنشر و التوزيع و الإعلان- 23 شارع السودان – الدقي
هاتف : 0123885295- 3370042 (002) - الموقع : www.darlila.com
الكويت:
دايموند بوك - هاتف: 009657555439 - الموقع:
www.diamond-book.com

المقدمة

لن نتكلم اليوم عن مصاصي الدماء أو المذؤبين أو حتى عن الموتى الذين عادوا للحياة، اليوم سنتحدث عن شيء مختلف تمامًا. سنتحدث عن أسوأ كوابيسك أو بمعني أصح عن أسوأ كوابيسه.

ولد (بو) في التاسع عشر من يناير سنة 1809 وتوفي في السابع من أكتوبر سنة 1849.عاش (بو) حياة بائسة فقد مات أبواه اللذان كانا يعملان كممثلين متجولين وهو في سن الثالثة لينتقل هو وأخوته لمن يستطيع إعالتهم، كان نصيب (بو) في أسرة تاجر ثري يدعي (جون آلان) وهو من أعطاه أسمه. غادر مع عائلته الجديدة إلي إنجلترا لمدة خمس سنوات ليعود للولايات المتحدة الأمريكية مرة أخري سنه 1820 ليكمل تعليمه هناك.

حينما بلغ (بو) سن المراهقة عاني من تقلبات مزاج والده بالتبني الذي كان يري فيه استهتاراً لا يليق بمكانة

عائلته.

تتوالي الصدمات على (بو) حينما سافر لمدة عشرة شهور ليعود بعدها ليجد أن حبيبة قلبه قد خطبت لشخص أخر حيث أن والدها لم يرضي بمثل هذا الشاب المتبنى.

تزداد الشدة علي (بو) حينما يعود إلي الجامعة وينغمس في لعب القمار ومعاقرة الخمور ليصل مجموع ديونه لألفي دولار رفض والده بالتبني دفعها ليتم طرده من الجامعة وينبذه والده بالتبني من حياته.

تبتسم الحياة قليلاً لـ(بو) حيث يعود لمسقط رأسه ويلتحق بالجيش، ليحصل علبي رتبة رقيب خلال عامين فقط، وطوال هذه الفترة لم ييأس الشاب من إعادة المياه إلي مجاريها مع والده بالتبني ولكن بلا جدوى، ليرسل له عام 1829 ليحضر جنازة والدته بالتبني والتي كان متعلقًا بها كثيرًا لتكون هذه هي الوفاة الثانية في حياته.

بعد ذلك بعام تزوج أبوه بالتبني من امرأة لا تحب

الشاب مما أدي لبعده عن أسرته بالتبني إلي الأبد.

التحق (بو) بعد ذلك بالكلية الحربية ما لبث أن طرد منها وحوكم بتهمة الإهمال، ولكنه في تلك الفترة كان بدأ يكتب الشعر وبدأ ينضج أدبياً فعمل كمحرر في بعض الصحف كما كان يشترك في المسابقات الأدبية ذات الجوائز الأدبية للمساعدة في إعالة عمته وبنتها.

سنة 1833 توفي والده بالتبني ليفاجأ (بو) أنه لم يذكره في وصيته ولم يرث منه ولا سنت واحد.

عُرف (بو) بعد ذلك بأنه أديب وناقد لا يشق له غبار وبدأت حالته المادية في التحسن ليتزوج سنة 1836 من ابنة عمه ذات الأربعة عشر ربيعاً وهو الأمر الذي أستغربه الكثير نظرًا لصغر سن الفتاة ولكن حياته سرعان ما عادت للتدهور مرة أخري، وأصيبت زوجته بالسل وكان من يزوره في تلك الفترة يقول انه لم يجد حتى ما يستطيع أن يدفئها به فكان يغطيها بمعطفه ويضع القط علي صدرها

وربما كانت هذه الفترة هي ملهمة (بو) في كتابة العديد من القصص والقصائد مثل (القط الأسود) و(الغراب) وغيرها، سرعان ما توفت زوجته بعد خمس سنوات من المعاناة مع المرض ولم يجد (بو) حتى ثمن نقود دفنها ليتطوع الجيران بفعل ذلك.

كانت هذه هي الوفاة الثالثة في حياته لامرأة أحبها وتعلق بها، لكنها هذه المرة كانت صدمة عمره، و استولى عليه الإكتئاب وانغمس في الخمر والمخدرات، وحاول الانتحار ذات مرة بالأفيون.

كان حلمه الكبير أن يصدر مجلة أدبية يحررها ويديرها بنفسه. و من أجل الحصول على رأس المال الكافي تورط في مشروع زواج من أرملة غنية، لكن المشروع فشل في النهاية لأن الأرملة اشترطت عليه الكف عن شرب الخمر، الأمر الذي لم ينجح فيه (بو).

ساءت حالته أكثر بعد ذلك، ليجدوه في يوم من الأيام

في حالة سيئة جداً ليتم نقله إلي مشفي واشنطون حيث توفي بعد خمسة أيام.

هنا نطرح علي أنفسنا السؤال هل المعاناة هي التي تولد الإبداع؟ أم ماذا؟

فـ(بو) شاعر مرهف الحس كتب العديد من القصائد بدأ كتابة الشعر سنة 1824 كان شاعراً لا يشق له غبار.

أغلب النساء اللاتي تعلق بهن (بو) قد ماتوا أمام عينيه فنجد أن أغلب قصائده تدور حول فتاة جميلة تموت بل إن أغلب قصصه أيضاً تدور حول هذا المنحنى.

كتب ذات مرة يقول:

" إن موت امرأة جميلة لهو، من غير ريب، أكثر المواضيع شاعرية في العالم ".

كما أن قصيدته الغراب صنفت كأفضل قصيدة كتبت حتى بعد وفاته.وحينما توفيت زوجته كتب قصيدة من أرق

قصائده عنها "أنا بيل لي" سنة 1849، حيث تخيلها فتاة كالملائكة وكانت بعض أجزائها تقول:

" لا يسطع ضياء القمر إلا ويجلب لي الأحلام

عن أنا بيل لي الجميلة

ولا تلتمع النجوم دون أن أرى فيها

عيني أنا بيل لي الجميلة

وهكذا، أقضي الليالي مسهداً

وأرقد بجوار حبيبتي. حياتي. عروسي

في ضريحها بجوار البحر.

في قبرها بجوار البحر."

وقد بيعت هذه القصيدة بدولارين فقط لا غير، وبعد

وفاته بعامين بيعت قصيدته المكتوبة بخط يديه بآلاف الدولارات.

لم يكتب (بو) سوى حوالي سبعين قصة قصيرة، صنع من خلالها شهرته العالمية كأبي القصة القصيرة وأول من كتبها في شكلها الحديث الذي نعرفه..

فبعد أن فاز بجائزة خمسين دولاراً عن قصته "رسالة في زجاجة"، اتجه إلى العمل كمحرر في العديد من المجلات الأدبية، و نشر العديد من القصص المتفرقة في مجلات أدبية عديدة، ثم أصدر مجموعته القصصية الأولى:
" Tales of the Grotesque and Arabesque "
سنة 1840، واحتوت على قصته الشهيرة "سقوط منزل آشر". والتي تعتبر من أكثر قصصه كآبة.

كتب (بو) في مجال القصة البوليسية بل يعتبر هو مؤسس هذا المجال ولم ينكر السير(أرثر كونان دويل) مبتكر شخصية (شيرلوك هولمز) أنه لم يتأثر به. حيث كتب

قصته البوليسية الأولي"جريمة في رو مورج" واختتم (بو) قصصه البوليسية بقصته "الرسالة المسروقة".

كما كتب (بو) أيضاً قصصاً ساخرة كثيرة ، مثل "الشيطان في الجرس" و "الرجل الذي هلك" و " بندول رجل الأعمال" و "كلمات مع مومياء" وغيرها.

كما كتب أيضاً بعض الأعمال التي تعتبر من الخيال العلمي، مثل "خدعة البالون"، والتي استطاع بطلها الوصول إلى القمر بمنطاد، وهناك وجد مدينة خيالية يعيش فيها أقزام قبيحو الخلقة لا آذان لهم و يستخدمون التخاطر في الحديث وهو ما يجعلني أتسائل حول قصة أول رجال علي سطح القمر للكاتب (هـ.ج. ويلز).

بالنسبة للأعمال الفانتازية كتب (بو) قصة "آرثر جوردن بيم" التي تدور أحداثها حول قبائل همجية تعيش بالقرب من القطب الجنوبي، سود تمامًا، تصل إليهم رحلة استكشافية بقيادة (آرثر جوردن)، و فيما بعد ستصبح تيمة

العالم المفقود ملهمة للكثير من الأعمال.

و رغم أن كتاباته في الرعب كانت جزءً بسيطاً من كتاباته، إلا أن (بو) يُعرف الآن باعتباره كاتب رعب، علي الرغم من العديد من المجالات الأخرى التي كتب فيها.

قصص الرعب عند (بو) تدور في جو قاتم غامض مخيف عوالم سوداوية كئيبة قريبة من أجواء الكوابيس، ومفردات تشمل الدفن حياً و موت الأحباب و الجنون والاضطراب والفصام.

في قصة "إنهيار منزل آشر" نجد كل شيء في القصة من بدايتها إلى نهايتها يؤثر في القارىء بشكل كئيب، بل أثرت علي أنا شخصياً، فوصف الراوي للجو المحيط بقصر أسرة (آشر)، إلى وصفه للبيت من الداخل، وحديثه، عن صديقه (آشر) واضطرابه العقلي، ومرض أخته الذي انتهى بدفنها وهي ماتزال حية، إلى انهيار البيت نفسه.

أما قصص الرعب الأخرى التي كتبها (بو) أصبحت من

كلاسيكيات أدب الرعب العالمي، مثل " القط الأسود" و "حفلة الموت الأحمر التنكرية" و "القلب الواشي"

لم تضيع السينما فرصة كهذه فقد تم إخراج فيلم (انهيار منزل أشر) عام 1960.

تأثر (بو) (بشكسبير) و(جوناثان سويفت) و(ألكسندر بوب) و (لورد بايرون) وغيرهم ..

كما أثر بدوره في أدباء لهم وزنهم مثل (ديستويفسكي) و (آرثر كونان دويل) و (ستيفن كينج)، وغيرهم.

كان (بو) عبقرياً، كان يقرن العبقرية بالجنون كعلاقة طبيعية.

لقد اعترف به الجميع وأشادوا بعبقريته وأدبه، لكنه لم يكن موجوداً ليتمتع بهذه الشهرة وهذا المجد.

تحول منزله إلي متحف يزوره السياح ليروا كيف عاش العبقري الذي لم ينل التقدير إلا بعد وفاته.

نقدم لك اليوم عزيزي القارئ ست قصص تتنوع ما بين الكوابيس النفسية والدفن حياً والمرضى النفسيين بل والقصة الفانتازية والتي تفاجأ في نهايتها بأن هذا الكاتب كان موهوباً حتى النخاع بل لما هو أعمق.

المترجم

انهیار منـزل (آشر)

في ليلة مظلمة صامتة من خريف هذا العام، بينما السحب المنخفضة عالقة في السماء كنت أعبر وحيداً، على ظَهر حصاني بتلك البقعة الكئيبة من البلاد، في النهاية وجدت أن المساء قد حال دون رؤيتي لأيّ علامة تشير لظهور منزل (آشر) الكئيب.

لا أعرف كيف، لكن مع النظرة الأولى للبيت شعرتُ بالاكفهرار يهيمن على روحي. شعور لا يُطاق ! تلك الأحاسيس القلقة التي يستسلم لها أي عقل للشعور بتلك اللذة الشاعرية. إنها الصورة الطبيعية للبؤس والبغض.

نظرتُ لشكل المكان قبل أن أخطو داخل المنزل، ملامح المكان تتضح من شكل حوائطه الكئيبة، تلك النباتات المتسلقة سريعة النمو تغزو المكان، تلك الجذوع البيضاء المُتعَفّنة، شعور الكآبة الذي غزا روحي؛ والذي لا يقارنه أي شعور أرضيّ أخر باستثناء شعور الإفراط في السُكر أو المُخدرات، إنه الانخفاض التام في معدلات الحياة دون

أي ساتر. تلك البرودة الشديدة والترسبات التي تصيب القلب، تمهيدًا لوصولك إلي ذروة الرعب.

" ما هذا؟ لقد توقف تفكيري ! ما هذا الذي أفقدني شجاعتي عند تأملي لمنزل (آشر)؟"

لغز لا أجد له تفسيرًا، تمسكتُ بالرغبات الوهمية التي أصابتني. أجبرت نفسي على تجاهل المشهد العام الذي أثّر عليّ، وتلك الطاقة التي أوصلتني لهذه الحالة.

فكرت ملياً في المنظر وتخيَّلت إعادة تشكيله، ربما يمكن القضاء على تلك الكآبة ببعض التعديلات، أسعدتني هذه الفكرة. بناءً عليها وجهت حصاني نحو الحافة شديدة الانحدار للبحيرة السوداء البشعة ببريقها الهادئ أسفل المنزل، لكن عاودتني تلك الرجفة التي أصابتني بسبب انعكاس صورة النباتات المتسلقة وشكل المنزل المـُقبض.

مع ذلك تذكرت تلك المهمة التي اعتزمت أدائها لزيارة صاحب البيت (رودريك آشر). كان أحد رفقائي المرحون في الصبا، آخر مرة لقيته فيها كانت منذ سنوات عدة.

الخطاب الذي وصلني مؤخراً في ذلك الجزء البعيد من البلاد، الرسالة كانت تحتوي علي أمارات عصبية، حزن وهياج واضح.

يتحدث عن المرض العضال الذي أصابه، عقله المضطرب الذي أجهده، أنه يبغي رؤيتي. فحسب ما يقول أنا صديقه المفضل ويحاول أن يبتهج باجتماعي معه للتخفيف عنه.

إنه ما نصحه به الجميع للتخفيف عن ما أصابه، خصص حجرة لي في منزله؛ كنت محتاراً بشأن هذه الدعوة.

علي الرغم من أننا كنا رفقاء حميمين ونحن صبية، إلا أنني حقيقة لا أعرف عنه إلا أقل القليل، فهوالغموض ذاته.

عائلته العريقة والقديمة لوقت طويل جداً. لها هذا الأسلوب والحساسية العالية المنتشرة طوال عمرها. الكثير من أعمال الفن المثيرة التي قدمتها مؤخراً لم تكن بها هذه

التعقيدات التي قدمت من قبل، ربما ليتعرف الجميع علي معني الجمال.

أعرف كل هذا بشأن سلالة (آشر)، وبعد ذلك في احدي الفترات علمت بتغير بعض الأشياء وسقوط عائلته وانحدارها، دوماً ما تسقط الأعلام بسبب التغيرات التافهة البسيطة. أفكر بشأن التأثير علي بعض الأشخاص مثل طريقتهم في التعامل مع الناس.

احدي الطرق في الدمج ما بين الأب وابنه والتوارث ما بين الشخص واسمه وبينما يتم دمج الاثنين نشأ ذلك الاسم العجيب والطريف منزل (آشر)، الاسم الذي بـ. أنه يستخدمه الفلاحين في النداء علي القصر والعائلة.

هذا التأثير نتاج خبرة طفولية، من النظر لأسفل نحو البحيرة العميقة هذا هو انطباعي الأول. لم يكن هناك شك أن شعور الخوف الزائد بسبب خوفي من المجهول. هكذا كان عندي معرفة كبيرة إزاء مشاعر الرعب التي

اجتاحتني.

هذا السبب فقط لأنه عندما رفعت ناظري إلي المنزل بعيداً عن انعكاسه في البركة نما بداخلي خوف غريب-- هذا الخوف سخيف للغاية بالنسبة لي، لكنني أذكر قوة هذه الأحاسيس. في الحقيقة لقد عمل خيالي بما حول القصر والأملاك، هذا الجو الخانق الخاص بهم، لا علاقة له بالنعيم. هذا الجو الذي فاح بتجمع الأشجار الفاسدة، الحائط الرمادي والبحيرة الصامتة التي تخرج هذا البخار الضار، البليد والراكد الذي لا يميز بلونه الرصاصي.

نفضت هذه الأفكار عن رأسي لابد أن كل هذا حلم، فحصت البناء مرة أخري. السمة الأساسية انه بالغ القدم، بصمه الزمن واضحة عليه. غطته الفطريات الدقيقة لتصنع شبكة معقدة فوق الإفريز.

حسناً كل هذا جزء من خراب فائق. لا يوجد جزء في المبني لم تمتد إليه يد الخراب؛ بدا لي هذا التناقض الغريب

بين كون المبني مازال مثالياً وبين هذه الأجزاء المنهارة والحجارة الفردية. ذكرني بالمنظر الخادع لمصنع الخشب القديم الذي تعفن لسنوات عدة في القبو المهمل، دون أي تعرض لتنفس الهواء خارجي. هذا الخراب الجلي، أعطي المبني رمزاً لعدم الاستقرار.

العين المتفحصة الدقيقة يمكنها بصعوبة شديدة رؤية شق صغير، الذي امتد من سقف البناء في المقدمة إلي الأسفل بشكل متعرج، يضيع في مياه البحيرة الراكدة

(ملاحظة:حول المكان فقد دخلت المنزل عبر قنطرة توصل إليه)

الخادم بانتظاري اخذ الحصان، دخلت عبر المدخل القوطى للردهة. تقدمني في الكثير من الممرات المظلمة، المتشابكة إلي المكان الذي به سيده.

تهت في معالم الطريق لا ادري كيف، ضاعف هذا من إحساسي بالقلق حول ما سوف نتحدث عنه.

بينما الأفكار تعصف برأسي، حدث ما أخرجني عنها، تلك المفروشات ذات الرسوم الكئيبة، الحوائط والأرضية الأبنوسية السوداء، وتلك التذكارات النبيلة التي تهتز كلما تحركت، هذه الأمور المعتادة في طفولتي. كنت مترددًا في الاعتراف بأن هذا مألوف بالنسبة لي .

على احد السلالم قابلت طبيب العائلة، الهدوء البادي عليه ممزوجًا بالقليل من الدهاء والكثير من الارتباك، بادرني الكلام بخوف ثم تخطاني.

الخادم الآن بداخل الباب المفتوح، أشار إلي للحضور لسيده.

الحجرة التي وجدت نفسي بها كانت حجرة كبيرة، فخمة، الشبابيك كانت طويلة، قريبه وبارزة، هناك مسافة كبيرة بينها وبين الأرض البلوطية السوداء لذا يصعب الوصول لها. كما كانت هناك ومضات الضوء القرمزية، التي شقت طريقها خلال الزجاج المتشابك، هذا ما جعل

الأجسام تبدو أكبر من حجمها، كافحت لأري الزاوية البعيدة أو سقف الحجرة، لكني لم أستطع.

الأقمشة الكئيبة المعلقة علي الحوائط، وأثاثات الحجرة كانت غاية في الإسراف كلها تحف موروثة. الكثير من الكتب المسرحية والآلات الموسيقية وضعت في أرجاء الحجرة إلا أنها فشلت في إضفاء أي حيوية للمشهد. هناك جو عام من الحزن، هواء صارم عميق وغم لا يطاق تخلل كل هذا.

علي المدخل رحب بي (آشر)، قام من فوق الأريكة التي يتكئ عليها. رحب بي بشكل مرح دافئ بدا لي أنه يبذل جهداً فائقاً ليبدو هكذا. في النهاية اقتنعت بإخلاصه المثالي هذا؛ جلسنا نتكلم لبضع لحظات حدقتٍ فيه ويتصارع بداخلي شعور نصفه شفقه ونصفه رهبة. بالتأكيد لقد عاني في الفترة السابقة؛ من الصعوبة علي تخيل أن هذا الشاحب بجواري هو (رودريك آشر) رفيق الطفولة والفتوة.

رغم ذلك، كان يحمل وجهاً رائعاً في جميع الأحوال.

حتى مع شحوبه الطبيعي هذا فمازال يحمل عينه الكبيرة اللامعة بشكل لا يقارن مع أي عين أخري، شفاهه الرقيقة جداً والشاحبة جداً، وجبهته الرائعة، أنفه النموذجية مع عرضها الرائع، تلك الذقن المقلوبة وشعره الناعم، هذا التناسق البديع صنع شخص ذو طلة بهية لا يمكن نسيانها.

لا أبالغ إن قلت أنه تحمل الكثير في الفترة الماضية ليتغير علي هذا النحو. الشحوب الفظيع الذي غطي الجلد، ولمعان عينه العجيب والذي باغتني وأرعبني.

شعره الحريري يعاني من سوء النمو، فقد قوامه ليسقط بشكل غير منتظم حول وجهه. ابتعد تماماً عن أبسط مظاهر الإنسانية. هناك تضارب وتنافر في شكل صديقي مما يدل علي عصبية شديدة، كان يكافح كثيراً ليخفي ويتغلب علي هذه العصبية.

أدركت سر إلحاحه المفرط في رسالته، للاستعانة بصديق طفولته استنتجت هذا من طفولة مزاجه.

تصرفاته كانت حيوية ومتجهمة بالتناوب. يتفاوت صوته من السرعة إلي التردد والارتجاف، كلامه ثقيل، فظ، أجوف تخرج الحروف من حلقه بشكل مستفز كالسكارى، أو مدمني الأفيون.

تكلم حول زيارتي له وأنه سعيد حقاً لرؤيتي ويتوقع مني أن أتحمله وأساعده. تكلم مباشرةً حول مرضه وعلته.

قال لي:

-"إنه اعتلال صحتي مع شر عائلتي، اليأس من وجود علاج، تأثير العصبية الزائدة"

ثم أردف:" والتي عبرت بي في الحال إلي تلك الحالة."

عرض نفسه في مجموعه من المشاعر الغير منطقية. بعض هذه الأشياء التي عرضها حيرتني، جعلتني مهتم بها.

عاني كثيراً من أحاسيس سقيمة؛ الطعام عديم الطعم من الممكن احتماله؛ ملابسه مهترئة؛ روائح الزهور

متبددة. عيناه عذبها الضوء؛ وتلك الأصوات الغريبة التي تصدرها الآلات الوترية. هذا الجو العام لا يوحي سوي الرعب.

وجدته وقع فريسة لنوع من الرعب الشاذ.

قال لي:

" أنا سأموت، يجب أن أموت بهذا الشكل الأحمق البائس. ما عدا ذلك سأكون مفقوداً. أخاف المستقبل ليس منه، لكن من نتائج ما سيحدث. أرتجف من أي حدث عرضي تافه يعمل علي إثارة روحي. مقتي للخطر بسبب إحساسه المطلق في الإرهاب. أفكر في ترك الحياة بسبب هذا."

شككت في سلامته العقلية من خلال هذه التلميحات المريبة. قيد نفسه ببعض الخرافات حول مسكنه، بعد قضائه هذه السنوات به وقع تحت تأثيراته السلبية، استسلم كثيرًا حتى حصل قصره العائلي علي روحه، وقع تحت

تأثير بنيانه الضخم حوائطه وأبراجه الرمادية، البحيرة الجبلية الكئيبة، التي وضعته في هذه الحالة الكئيبة.

بعد فترة أخبرني أن أغلب الغم الذي أصابه لسبب طبيعي أكثر وضوحاً، بسبب المرض الطويل، الكئيب الذي أصاب أخته الرقيقة المحبوبة، رفيقة وحدته لسنوات عدة. من تبقي له من عائلته العريقة.

" لا يمكنني تحمل أبداً خبر موتها، إنها أخر من تبقي لي."

بينما هو يتكلم عبرت أخته الوحيدة (مادلين) في الطرف القصي من الردهة أختفت بمجرد رؤيتي.

دهشت بمجرد رؤيتها لم أستطع تفسير تلك المشاعر التي أعترتني. تبعت عيوني خطواتها المنسحبة وشعور الدهشة يتزايد. عندما أغلقت بابها، نظرت بشكل غريزي لأخيها لأجده دفن وجهه بين يديه وتلك الدموع تنساب من بين أصابعه.

حير مرض السيدة (مادلين) الأطباء لفترات طويلة. لم ينفعها أي علاج بشكل غريب، بالرغم من تعاطف الجميع معها.

صمدت أمام دائها حتى الآن بشكل غير عادي. لكن في ليلة وصولي، بعد أن ذهبت إلي السرير، استسلمت أخيرًا، جاءني أخوها أخبرني في حالة من الهياج يصعب التحكم بها بأن تلك اللمحة التي حصلت عليها هي الأخيرة.

لعدة أيام تالية لم نذكر أسمها، كنت أسعي جاهداً لتخفيف الأثر عن صديقي. سهرنا سوياً وظللنا نقرأ وأستمع إلي عزفه المرتجل علي قيثارته.

وبالرغم من كل هذا لم تصفو روحه، هكذا أدركت عبث محاولاتي، فقد سقط فريسة الغم وصبه علي كل شيء في الكون، لم أقدر علي فعل إيجابي يخرجه من حالته.

سأظل أذكر تلك الساعات التي قضيتها مع سيد هذا المنزل (آشر). الأضواء اللامعة ظلالها علي كل شيء.

ألحانه الطويلة الكئيبة ستدق في أذني لفترات طويلة. من بين كل هذا أحمل بداخلي ذكري مؤلمة لعزفه الأخير.

الآن توصلت إلي الصورة النهائية وكشفت الغموض ما جعلني أرتجف بشكل أكبر، الأمر أوضح من ما تخيلته، ومحاولة السعي للاستنتاج أشياء صغيرة من خلال الكلمات المكتوبة. إنه هالك. وساوسي تدور الآن حول ما سوف يحدث.

مفاهيم صديقي الوهمية، ظلت صلبة، تتصاعد رويداً بالرغم من ضعف كلماته.تلك الصورة تعرض مدفن طويل جداً ومستطيل أبيض مصقول، حوائطه منخفضة جداً.لا يوجد له مخرج كما لم يكن هناك ضوء يصل إلي هذا المكان من أي مصباح أو مصدر صناعي أخر، علي الرغم من هذا، كان هناك فيضان من الضوء يغمر المكان.

توترت أعصابي، لم أطيق سماع صوت قيثارته، حصر أدائه كله عليها أسلوبه المتحمس لا يفسر نغماته الكئيبة.

لاحظت كلماته المرتجلة المقفاة . تذكرت إحدى القصائد التي لفتت انتباهي، كانت كلماتها بالغة السهولة. كانت قصيدة القصر المسكون:

(1)

في مكان أكثر خضرة من ودياننا،
تحفهم الملائكة الرحيمة،
يسكنون القصور المهيبة
رؤوسهم في قصرهم المتألق.
في حضرة الملكَ
وقفوا هناك
وفردوا أجنحتهم.

(2)

الرايات الصفراء الذهبية المجيدة،
فوق الأسقف
هنا منذ وقت بعيد
كل هذا الهواء،
يداعبني في هذا اليوم المجيد،

فوق الأسوار هناك الطيور،
التي سافرت مجنحة.
(3)
يهيمون في هذا الوادي السعيد،
رأيتهم خلال نافذتي المضيئة
الموسيقي تحرك أرواحهم،
عبر قانون العود الجميل،
دارت حول عرشها حيث جلست،
في حالتها العظيمة حيث رأيتها،
ورآها حاكم العالم.
(4)
بالضوء الياقوتي
الذي تدفق من خلال
باب القصر الرائع،
دائماً، وإلي الأبد،
أصداء الغناء الرائعة،
تستمد من ذكاء وحكمة ملكهم،

لكن الأشياء الشريرة،
تهاجم قصر الملك العادل،
دعنا لا نندب أبداً
غداً سننتصر.
ندور حول قصره المذهب،
لكن القصة المنسية طمست،

(5)

نسافر الآن عبر ذلك الوادي،
نراهم خلال النوافذ الحمراء،
أشكالهم الواسعة تتحرك بشكل خيالي،
لكن هناك النغم الشاذ،
بينما يمر النهر خلال الباب القبيح،
لكننا لن نري ابتسامته مرة أخري.

أتذكر ما حدث أحاسيسي حينما سمعت قصيدته، وقعت في سلسلة من الشجن لم أستطع الخروج منها. حتى كلماتي خلت من الحماس لفعل شيء ما.

ما أوصلنا لهذه الحالة هو بيت أسلافه، تخيل أن تسكن في مثل هذا الجو، تلك الأحجار، الفطر الذي أنتشر في كل مكان،الأشجار الفاسدة، تلك البحيرة الحجرية الكئيبةا لتي ضاعفت من كل هذا.

تأثير هذا المكان رهيب، فقد عرفت مصير أسلاف (آشر) من خلاله. يجب أن أخبره بكل هذا، لكني لم أستطع.

توجد هنا تلك الكتب التي شكلت تكويننا العقلي، أمعنت طويلاً في أسمائها، عنده الكتاب الأصفر القديم (جحيم السماء)، و (الرحلة البحرية تحت الأرض) لـ(نيقولاس كليم)، و(قراءة الكف) لـ(روبرت فولد)، و(الرحلة إلي المسافة الزرقاء)، و(مدينة الشمس).

كانت هناك كتب ذات أحجام صغيرة مفضلة تتحدث عن الآلهة الإغريقية والإفريقية القديمة، وكتب أخري تتحدث عن الكنيسة المنسية، يرجع هذا الكتاب إلي العصر القوطي.

لا أستطيع مساعدة من يعيش وسط تلك الطقوس، بينما أنا في غمرة فكري جاءني ليخبرني بنيته لوضع السيدة (مادلين) في أحد التوابيت فوق أحد المدافن الرئيسية في المبني لمدة أسبوعين قبل أن يدفنها.

لم يكن عندي أي سبب يجعلني أعترض. هو أخوها ويملك حرية القرار، أخبرني عن حالة المقبرة العائلية. لن أنكر أن هذا عمل شرير، لكن منذ أن وصلت إلي المنزل لم أملك أي وسيلة للمعارضة، لذا فأنا في أفضل الأوقات غير مؤذي.

بناء علي طلب (آشر) ساعدته في تجهيز القبر، حملنا جسدها إلي القبر الذي ستستريح فيه. وضعناها في ذلك المدفن الكئيب الذي لا يدخله الضوء، يقع هذا المدفن أسفل حجرة نومي.

يبدو أن هذا المكان كان يستعمل في الماضي لأعمال التعذيب الوحشية فجزء من أرضيته محترق، هناك الباب

الحديدي الضخم والأرضية النحاسية، كما أن الباب حين فتحناه أصدر أصوات صرير مزعجة.

بعدما وضعنا عبئنا الحزين، في هذا المكان الرهيب، لم نغلق التابوت، نظرت طويلاً في وجهها لأري التشابه الكبير بينهما، وجدت أتعاطف معها، لمحت وجهها الذي لا يشبه بأي حال من الأحوال وجوه الموتى.

المرض الذي فعل بها هكذا، وهي سيدة تنضج بالشباب نظرت لوجهها وتلك الابتسامة الطويلة علي وجهها لا توحي بالموت. شققنا طريقنا بصعوبة عبر ذلك الباب الحديدي للأعلى للجزء المضيء من المنزل.

بعد أن مرت عدة أيام تغير صديقي بشكل ملحوظ، وبدأ عقله يضطرب. ترك كل شيء وظل هائماً في أرجاء المنزل.

شحوبه كما هو، لمعان عينيه أختفي إلي الأبد. تهدج صوته، أصبح من الصعب تميزيها معاناته كانت مريرة. كان ينظر نحو نقطة واحدة، بدأت أشعر بتأثيره علي.

كان ينام متأخراً، بعد أن انقضت سبع أو ثمان ليالٍ على السيدة (مادلين) في القبو استجمعت قوتي بأكملها، كان ينام بالقرب من أريكتي بينما تمر الساعات رويداً رويداً.

كافحت لكي أفكر، لكن الجو بدأ يشعرني بالاختناق فالحوائط الكئيبة والأثاثات، والظلام كانوا يبعدون تفكيري، حاولت التمرد على تلك العاصفة ولكن تفكيري تذبذب ذهاباً وإيابا ولم تثمر جهودي عن أي شيء. تخللتني رجفة يصعب السيطرة عليها، أصبح قلبي مثل جهاز الإنذار.

ارتجفت، استندت برأسي إلي المخدة، تملكني الظلام، أصغيت لتلك الأصوات الضعيفة، الغير محددة للعاصفة.

قمت من علي سريري بشكل عصبي، ارتديت بعض الملابس، لا يجب أن أنام في هذا الوقت، سعيت لإثارة نفسي، ظللت أخطو ذهاباً وإياباً عبر فضاء الحجرة. فجأة سمعت صوتاً خفيفاً علي السلم المجاور.

حين لمس طيفه بابي، شاحب كالعادة وإن كانت هناك تلك النظرة المجنونة في عينيه، وتلك الحركات الهستيرية. رحبت به علي الرغم من خوفي منه.

قال لي علي نحو مفاجئ

-" ألم تراها؟؟!!"

صمت لبضع لحظات ثم أردف قائلاً.

- " أنت لم تراها بعد، أليس كذلك؟ أنتظر سأريك إياها."

بحذر بالغ حجب عني الضوء للحظات وفتح النافذة فجأة علي العاصفة.

الريح العاصفة رفعتنا تقريباً من علي الأرض. كان الجو عاصفاً، علي الرغم من ذلك كانت ليلة جميلة، متفردة في رعبها وجمالها. كأن العاصفة جمعت كل قوتها بالقرب منا؛ الريح تذرو كل ما تقابله؛ تجمعت الغيوم الكثيفة؛ التي كانت منخفضة جداً تجاور أبراج المنزل.

ومع كل هذا كنا مدركين لكل ما يحدث، رغم أنه لم يكن هناك أي ضوء حتى ضوء القمر والنجوم. لم يكن هناك أي ضوء باستثناء ضوء البرق الذي يظهر كل فترة. بالإضافة إلي كل هذا كانت الأجسام تتوهج في الضوء الغير طبيعي بسبب البخار الذي كفن القصر وجعل المكان يتوهج.

قلت له

- " لا يجب أن تنظر هكذا"

ثم اتجهت نحوه وسحبته من يده أجلسته علي الكرسي ثم قلت له:

" هذه المظاهر التي تحيرك مظاهر كهر بائية عامة، قد يكون هذا البخار قادم من تلك البحيرة الجبلية العفنة. دعنا نغلق هذه النافذة الكئيبة، إن الهواء بارد حقاً. انتظر ها هي أحد الأشياء الرومانسية التي تفضلها، أنا سأقرأ لك وأنت تستمع؛ دعنا نمضي تلك الليلة الكئيبة سوياً."

الكتاب الذي وقع في يدي كان (تريست المجنون)

للسير(لنكوليت كانينج). كنت أظن أنه الكتاب المفضل في حالة (آشر) لما يحتويه من الكوميديا الحزينة. عموماً كان هذا هو الكتاب الوحيد المتاح الآن. انغمست في أمل مبهم لإخراجه من حالته تلك، ظللت أقرأ. نجحت نوعاً ما في تخطيطي فقد بدا عليه الإصغاء.

الآن كنت قد وصلت للجزء المشهور من الحكاية حينما يود (إثريلد) بطل الرواية دخول مسكن الناسك بطريقة سلمية ولكن دن جدوى لذا يلجأ إلي القوة حيث تقول الحكاية:

-" (إثريلد) الذي كان قوي القلب بطبيعة الحال، والتي كانت شجاعته هائلة الآن بسبب قوة النبيذ الذي شربه، الذي كان ينتظره الناسك ليتفاوض معه، رفع صولجانه لحجب المطر، هنا بدأت الضربات تهز الباب وألواح الأرضية حتى بدأت المفصلات تتكسر وصوت الضربات بدأ يهز جميع أنحاء الغابة."

عندما أنهيت هذه الجملة، سمعت جلبة قادمة من الجزء القصي من القصر، ربما يكون صدي صوت ما ربما الصوت قادم من تلك النافذة؛ العاصفة مازالت تتزايد لذا لم أزعج نفسي، واصلت القصة.

-" البطل (إثريلد) دخل الآن من باب الناسك، لينظر إلي المكان الذي يجلس فيه الناسك ليجد بدلاً منه ذلك التنين المدرع. ضخم، يخرج من فمه لسان ناري، علي الحائط درع النحاس المشهور في هذه الأسطورة، بدا من الواضح أن هذا التنين القاتل هو من سيربح، لكن البطل المغوار رفع صولجانه وخبط التنين فوق رأسه، ليخرج ذلك الصراخ الذي بدا يصم الآذان، رفع (إثريلد) يديه فوق أذنه ليحجب عنه الصوت المروع، كان الآن مسروراً جداً."

هنا توقفت ثانية من الدهشة، فلا شك أن هناك صوت صراخ منخفض قادم من بعيد مثل وصف صراخ التنين.

في اللحظة التالية اجتاحتني مشاعر متضاربة من التعجب والخوف، لكني مازلت أحتفظ بعقلي لتجنب إثارة صديقي الحساس. لست متأكداً بأنه لاحظ أي صوت غريب، علي الرغم من سلوكه الغريب.

دار بكرسيه لكي يجلس بمواجهة باب الغرفة، ارتعدت شفاهه غمغم بكلمات غير مسموعة. بعد ذلك سقطت رأسه علي صدره لكني أدركت أنه لم يكن نائماً فعينه مفتوحة، لذا استمريت في حكي القصة.

-"بعد أن هرب البطل من التنين، كان يفكر الآن في تحطيم السحر من فوق الدرع النحاسي، اقترب بشجاعة إلي الرصيف الفضي حيث الحائط، هناك صوت دقات علي الأرض."

بينما تعبر هذه المقاطع شفاهي، كما لو أن درع النحاس وقع علي الأرض الفضية في الحقيقة، هناك صوت معدني مميز، لكنه مكتوم.

اتجهت إلي الكرسي الذي يجلس عليه، أدركت من هزة قدميه أنه مازال حياً، حينما وضعت يدي علي كتفيه وجدت قشعريرة ما تجتاح جسدي، ابتسامة خفيفة ارتسمت علي وجهه، تكلم بصوت ضعيف انحنيت عليه لأستمع إلي كلماته المنخفضة.

-" هل تسمع هذا الصوت. أسمعه منذ مدة طويلة، العديد من الدقائق، العديد من الساعات، العديد من الأيام، تجاسرت لأخبره بأننا وضعناها حية في التابوت، سأخبره أنني سمعت تحركاتها الأولى في التابوت سمعتها قبل ذلك ولكني لم أجرؤ أن أخبره، الآن أفهم أصوات كسر الباب وبكاء التنين كان صوت خروجها وتكسير مفصلات قبرها، وكفاحها للخروج من المدفن، هي ستكون هنا عما قريب، إنني أميز وقع أقدامها الثقيلة وصوت قلبها المجنون."

هنا قفز خارجاً وروحه كانت تستسلم وفي هذه اللحظة بالذات كانت تستند بجوار الباب. من طريقة تكلمها وشكلها الغريب ظهرت الآن بمظهرها المخيف وذلك الكفن يغطيها.

كانت هناك أثار بعض الدماء فوق ردائها، وقفت مترنحة للحظة تدور هنا وهناك علي العتبة كانت تنوح بالبكاء وتسقط علي الأرض، سقط أخيها ضحية الرعب.

هربت من تلك الغرفة في القصر بل هربت من القصر بأكمله. العاصفة كانت مستمرة بالخارج وفجأة سمعت الضجيج درت لأري وميض غير عادي صادر من ذلك المنزل، كان الضوء أحمر قاني صادر من حول المنزل الذي غرق في الظلام، القمر الذي يري بالكاد ظهر واضحاً جلياً.

وجدت ذلك الشق المتعرج بدأ يتسع بشكل رهيب، وتلك الزوبعة التي حدثت إثر انفجار المنزل مثل جرم سماوي.

بدأت دماغي تدور بينما حوائط المنزل المنفصلة تهبط لأسفل..

صوت غليان البحيرة الجبلية التي انتشرت بشكل صامت...

مكان بيت (آشر) الذي اختفى تماماً...

* * *

القلب الواشي

هذا صحيح.. لقد فاقتْ عصبيتي كُلُّ حد!

ولكن لماذا تقول إنني مجنون؟؟!!

إنه المرض، هو ما أورثني تلك العصبيّة، ليس سوء السُمعة ولا الغباء، إضافة إلى سمعي الحاد.

أسمعُ كلَ شيء في سماء أو أرض، بل وأحيانًا أنصِتُ لأشياء رهيبة في الجحيم!!

بعد كل هذا.. هل أنا مجنون؟؟!!

اصغ إليَّ بهدوء، يمكنني إخباركَ بالقصة بأكملها.

من الصعب تحديد الوقت الذي اقتحمتْ فيه الفكرة للمرة الأولى رأسي. لكنها فجأة ظلت تطاردني ليل نهار.. لم يكن سواها برأسي من شدة الانفعال، لم أفكر بغيرها!

أحببتُ الرجلَ المُسِن حقًا، لم يؤذني يومًا ولم

يُهنني. لم أطمع يومًا في ذهبه.. لكني أعتقد أنها عينه..

نعم، هي تلك العين!!

إحدى عينيه تشبه عين النسر، تلك العين الزرقاء الشاحبة ذات الغشاء الرقيق.. حينما يسلّطها عليَّ يتجمد الدم في عروقي.

وتدريجيًا قررتُ قتل الرجل المُسن بنفسي، لأقضي على تلك العين الشيطانيّة للأبد!

الآن أنت تعتقد أنني مجنون.. رجلٌ مخبولٌ جاهل، يجب أن تري كيف نفّذتُ خطتي بمهارة، بالحذر والبصيرة والمواراة.

كان لابد لي من العمل، فلم أكن أكثر ودًا للرجل المُسن كهذا الأسبوع السابق لمصرعه.

كل ليلة عند حوالي منتصف الليل أدير مزلاجه برفق، حالما أصنع فتحة كافية لرأسي، أضع مصباحًا مُطفئًا

حين أغلق كل شئ بإحكام، لا يُرى كافة ضوء من الخارج. بعد ذلك أدفعُ رأسي للداخل. ستنفجر من الضحك بالتأكيد عندما تراني أدفع رأسي ببراعة، أحركها ببطء شديد حتى لا أوقظ الرجلَ المُسِن.

استغرقني الأمر نحو الساعة حتى أدخلتُ رأسي بأكملها من فتحة الباب الموارب، حتى استطعت رؤيته راقدًا فوق سريره.

هل سبق لك رؤية رجل مجنون بهذا التفكير المُنظَّم؟

حينما تصبح رأسي بأكملها داخل الحجرة أفتح المصباح، بحذر شديد جدًا (بسبب صوت صريره)، أغلقه رويدًا حتى لا يتبق سوى خيط ضوء رفيع ساقط على عين النسر.. ظللتُ أفعل ذلك طوال سبع ليالٍ، كل ليلة عند منتصف الليل. لكني أجد عينيه مغلقة دومًا، لذلك كان مستحيلاً تأدية عملي بدقة، ولك أن تستنتج من هذا أن ما أثارني لم يكن الرجل المُسِن، لكنها عينه الشريرة!!

في كل صباح، عندما ينتصف النهار، أدلفُ للحجرة بكل جرأة، أتحدث إليه بشجاعة، أدعوه بالاسم المُقرَّب لقلبه.. أسأله كيف أمضى ليلته.. حتى بدأ الشك بشأن الليل. كان المُسِن يتمتع ببعض الفراسة بلا شك.

في الليلة الثامنة، حوالي الثانية عشرة كنت أكثر حذرًا في فتح الباب. عقرب ساعة اليد يتحرك أسرع من ذي قبل.. لم أدرك قبل هذا اليوم مدي سيطرتي علي عقلي.. نادرًا ما كنت أشعر بالانتصار. أعتقد أنني فتحتُ الباب قليلاً، لم يكن يتخيل أفعالي السرية ولا أفكاري.. ضحكت بداخلي لطرافة الفكرة، ربما ضحكتي هي ما سمعه، غالبًا كان هذا ما جعله يجفل ويستفيق من نومه.

تعتقد الآن أني وليت الفرار، ولكن لا! كانت حجرته مظلمة بشدة (وقد أغلق شباكه بإحكام خوفًا من اللصوص)، لذلك علمتُ بأنه لن يلاحظ الباب المو[illegible]ب، لذا ظللتُ أدفعه بثباتٍ شديد.

كانت رأسي بالداخل وأنا أهمُّ بفتح المصباح، عندما انزلق إبهامي علي الصفيح، لينتفض المُسِنُ في سريره، يصيح قائلاً: "من هناك؟!"

تسمَّرتُ مكاني ولم أصدر صوتًا.. طوال ما يقرب من الساعة لم أحرك عضلة من وجهي، لم أسمعه يَرقُـد مرة أخرى. ظلَّ مستيقظًا في سريره، يستمع لما فعلته ليلة بعد أخرى، يصغي لساعَة المَوت على الحائط.

في اللحظة الراهنة سمعتُ صوتَ أنينِ الرعب.. لم يكن أنينَ ألمٍ أو أسى.

يا إلهي!!

ذلك الأنين!! يَخرجُ من أعماق روحه ليزلزل كياني.. أعرف هذا الصوت جيدًا!

عند انتصاف ليال عدة، حينما ينام العالم كله؛ تنبع الآهة من عميق صدري مع صداه المخيف، إنه الرعب

الذي أصابني بالخبال! أخبرتك أني أجيد تمييزه.

أقدّر شعور الرجل المُسن جيدًا وأشفق عليه، على الرغم من ضحكي من كل قلبي. أعلم أنه ظلَّ مستيقظًا منذ الجَلبة الطفيفة الأولى، حينما انتصب على سريره.

من وقتها والرعب يتعاظم داخله.. حاولَ تخيُّل السبب لكنه لم يستطع. أخذ يُخبر نفسه: "إنه لا شيء، هي الريحُ تعبث بالمدخنة، إنه مُجرَّد فأر يعبُر على الأرض، ليس سوى سقسقة صرصار وحيد".

حاول طمأنة نفسه، لكنه وجد كل هذا بلا جدوى.. كله ليس له فائدة، لأن الموت أرخى عباءَته عليه، يُسوّد بظلاله كلَ شيء مُغلفًا ضحيته.

ما جعله يشعر بذلك هو التأثير السلْبي لظلي غير المحسوس، لم يرى أو يسمع ما يستشعر منه وجود رأسي بالحجرة.

انتظرتُ طويلاً ولم أسمعه يضجع مرة أخرى، حينها اعتزمتُ فتح فُرجة مُتناهية الصغر بالمصباح.

لذا فتحته خلسة - لن يمكنك تخيل الموقف مهما وصفتُ لك! - حتى وقعَ الشعاعُ الوحيدُ كخيطِ العنكبوت من الشق أعلى عين النسر. اتسعت عيناه بشدة، كُلّما حدّقتُ بها ازداد هياجي وغضبي!!

رأيتها بوضوح.. ذلك الغشاء الأزرق الغبي الذي يغطيها، يصيبني بالبرودة في عظامي، لكني لا أستطيع تحويل عيني عنها، كما لو أن الشعاع اتجه بالغريزة نحو البقعة الكريهة!

ألم أخبرك بأني لستُ مجنونًا؟ ليس الأمر إلاّ حدّة حواسي.

سمعتُ صوتًا سريعًا، أشبه بالهمس، رتيبًا كصوتِ الساعة حينما تُغلّف بالقطن.. أعرف هذا الصوت أيضًا!

صوت ضربات قلب المُسن! تزيد من حماستي كتحفيز دقات الطبول للجنود في المعارك.

على الرغم من ذلك ظللتُ ثابتـًا في مكاني. كنتُ أنافس الصمت، حاولت تثبيت المصباحَ ليظل الشعاعُ مُسلّطـًا على تلك العين الملعونة.

أثناء زيادة الإيقاع الشيطانيّ للقلب، الذي ظل يعلو تسارُعيـًا. لابد أن رعب الرجل المُسن قد تعاظم، أخبرك أنه كان عاليـًا في كل لحظة! – هل تفهمني جيدًا؟

أخبرتك أني عصبي؛ لذلك أتواجدُ الآن بتلك الساعة المُتأخرة من الليل، وسط الصمت المخيف بالمنزل القديم.. تلك الضوضاء الغريبة التي أثارتني لدرجة أفقدتني التحكم في أعصابي، رغم ذلك لم أتحرّك لدقائق عديدة.

الدق ظل يعلو!!

اعتقدتُ وقتها أن القلب سينفجر حتمـًا.. تملكني القلق

من سماع الجيران للصوت.

قُضيَ أمرُ الرجل المُسِن مصاحبًا لصرخة عالية.. صرخته الأخيرة!

لذا فتحتُ المصباح ودلفتُ إلي الحجرة.. صرخ مرة واحدة فقط، لأجرّه للأرض، سحبتُ السرير الثقيل لأضعه فوقه تمامًا.

بعدها ابتسمتُ بمرح، لأني وجدت أن الموت قد جاءه أخيرًا.. لكن ولعدة دقائق استمرَ صوتُ دقاتِ القلب مع صوتٍ مكتوم.. لكنه لم يغظني هذا علي كل حال؛ فلن يسمعه أحدٌ عبر الجدران.

مات المُسِن في النهاية! أزحتُ السرير واختبرتُ جثته.. تحولّ إلى حجر ميت.. وضعتُ يدي فوق قلبه لعدة دقائق، لم أجد أيَ نبض، مات أخيرًا! ولن ترعبَني عيناه بعد الآن!

هل لازلت على ظنك بخبالي؟ لن يستمر ظنك كثيرًا حينما تعرف التدابير الحكيمة التي اتخذتها لإخفاء الجثة.. شارف الليل علي الانتهاء، عَمِلتُ بسرعةٍ ولكن بهدوء في ذات الوقت.

انتزعتُ ثلاثة ألواح خشبيةٍ من أرضية الحجرة وأودعته بينهم، أعدتُ الأرضية مرة أخرى بكل ذكاء وبراعة بحيث لا تستطيع أيُ عين - حتى عينه هو- أن تكتشف أيَّ خطأ. لا شيء يدعو للقلق، لا يوجد ما يثير الشبهات ضدّي بأي شكل.. لا بقع دم بأي مكان تجعلني أفقد هدوئي.

حينما انتهيتُ من أعمالي كانت الساعة تعلن وصولها للرابعة، لكنها ظلتْ مظلمة كمنتصف الليل.. حينما سمعتُ صوتَ الساعة سمعت صوتَ دقاتٍ على أوّل الشارع.. هبطتُ لأفتح الباب بقلبٍ مضيء.

ماذا يمكن أن يثير خوفي الآن بعد انطفاء تلك العين؟

دخل ثلاثة رجال قدموا أنفسهم بدماثة كبيرة على أنهم رجال شرطه.

سمع الجيران أثناء الليل صوت الصراخ وشكّوا بوقوع جريمة، لذا أبلغوا قسم الشرطة الذي أرسل رجاله لتَقَصّي الأمر.

ابتسمت، ما الذي يمكنه إثارة خوفي بعد الآن؟

رحبت برجال الشرطة.. أخبرتهم أن تلك الصرخة كانت لي وأنا أحلُم. ثم أخبرتهم بأن الرجل المُسِن قد سافر إلى المدينة.

أخذت زواري في جولة بجميع أرجاء المنزل، ودعوتهم للبحث بدقة، ودعوتهم في النهاية إلي حجرته.. أريتهم كنوزه بثقة ودون قلق.

من شدة حماستي وثقتي أخذتُ الكراسي داخل الحجرة ودعوتهم ليرتاحوا من إرهاقهم، بل وصلتْ بي الجرأة -

بسبب نصري المثاليّ - لأن أضع الكرسي الخاص بي فوق البقعة ذاتها.. فوق المكان الذي دفنت فيه جثة ضحيتي.

اقتنع رجال الشرطة، أسلوبي هو ما دفعهم لذلك. كنتُ مستريحًا إلى حدٍ كبير.

جلسوا وأنا أجيبُ على أسئلتهم بمرح، وبدأنا الدردشة حول العام من الأمور.

لكن بعد فترة أصيبتُ بالضعف وتمنيت أن يذهبوا..

أصابني الصداع من صوت الدق في أذنيّ، لكنهم مازالوا جالسين، ما انفكّوا يدردشون.

الدق صار أكثر وضوحًا!!

تكلمتُ بحرية أكثر لأتخلص من هذا الشعور، لكنه استمر وازداد، وفي النهاية وجدتُ أن الضوضاء ليست داخل أذني.

لا شك أن لوني الآن قد شحب للغاية، لكني تحدثت بطلاقة وبصوتٍ عال. الآن بدأ الصوتُ يعلو، وما الذي يمكنني فعله؟

صوتٌ سريع، أشبه بالهمس، رتيبٌ كصوتِ الساعة حينما تُغلّف بالقطن.. انقطع نفسي من الكلام، ورغم ذلك لم يسمعني الضباط.. تحدثت بسرعة وحماس؛ لكن الضوضاء ظلت تتزايد. نهضتُ وتجادلتُ معهم بشأن أشياء تافهة مع إيماءات عنيفة، لكن الأصوات ظلت تتسارع.

لماذا لم يذهبوا؟ ذرعتُ الحجرة ذهابًا وإيابًا بخطوات ثقيلة واسعة كما لو أني مُثارٌ بشأن آراء الرجال، لكن الضوضاء لم تخبو.

يا إلهي!! ما الذي يجب علي فعله؟

أرغيتُ - اهتجتُ- أقسمتُ! سحبتُ الكرسي للمكان الذي كنت أجلس فيه، ظللت أدق الأرضية، لكن الضوضاء غطّت

على كل هذا، لازالتْ تعلو باستمرار!

ظلتْ تعلو تسارعيًا، ولا يزال الرجال يدردشون بسعادة وسرور.

هل يُحتَمَلُ أنهم لم يسمعوه؟

يا الهي!! لا، إنهم يسمعون! يشكّون! لقد عرفوا، كانوا يستهزئون برعبي! هذا ما فكرت به واعتقدته.

ولكن أي شيء أرحم من هذا الألم! كنتُ لأحتمل أيَ شيء سوى تلك السخرية! لا أستطيع احتمال هذه الضحكات الزائفة أكثر من ذلك! أشعر أنه يجب عليَّ الصراخ أو الموت، الآن أسمعها أعلى من أي وقت آخر!

"أوغاااااااااااااااد"

هكذا صحتُ بهم.

لا تنافقوا أكثر من ذلك، أعترف بقتل الرجل المُسن!!

ارفعوا هذه الألواح: هُنــا..

هُنــا ستجدون مصدر تلك الدَقّات المقيتة.

* * *

القط الأسود

لا أتوقع من أحد أن يصدق حكايتي المنزلية التي أهـمُّ بكتابتها.

مجنون أنا لأصدِّق ما حدث، بينما يرفض عقلي هذه الأدلة.. علي الرغم من هذا أنا لست مجنونًا ومتأكد بشدة من أنه لم يكن حلمًا. لكني لن أرى الغد حيًا على أيّة حال، لذا لن أترك روحي تستقر اليوم.. فليس لي سوى غرض واحد سوى عرض هذه القصة عليكم دون تعليقات.

تلك الأحداث المنزلية المجردة.. التي كانت عواقبها إرعـابي، بل وتدميري! علي الرغم من هذا فأنا لن أشرح ما حدث، بالنسبة لي لم يقدم لي سوي القليل من الرعب الذي سيبدو أقل فظاعة الآن.

بعد التفكير ربما يتحول وهمي حول ما حدث إلي حقيقة؛ بعض التفكير المنطقي الهادئ، البعيد تمامًا عن هياجي وعصبيتي، سأفهم الأحداث التي أعرفها دون رهبة،

فلا شيء أكثر من تعاقب الأحداث التي أثرت علي بمثل هذا الشكل.

منذ طفولتي لوحظ عني السلاسة والانطوائية.. طيبة قلبي الواضحة جعلتني مثار سخرية أقراني.. كما أنني أغرمتُ بشدة بالحيوانات، كنتُ طفلاً مدللاً للغاية.. لذا قضيت أغلب وقتي مع الحيوانات. لم أكن سعيدًا مثلما كانت سعادتي حين أعتني بالحيوانات.. هذا الجزء من شخصيتي نما كلما كبرت، في رجولتي كان هذا أحد مصادري الرئيسية للسعادة. فأنا أكِنُ حبًا وتقديرًا للكلاب المخلصة الوفية الذكية، وددتُ فهم طبيعته وحبه الشديد في الإرضاء هكذا! هناك شيء غريب في إيثاره وحبه للتضحية بنفسه بهذا الشكل البوهيميّ، هذا الحب الذي يدخل القلب مباشرةً، تلك الصداقة والتفاني.

تزوّجتُ مبكرًا، كنتُ سعيدًا للغاية لتوافق طباعنـا، بالأخص ولعها بتربية الحيوانات الأليفة مثلي، لم تدَّخِر فرصة مناسبة لتجلب حيوانًا جديدًا. نحنُ الآن نملك بعض

الطيور، سمكة ذهبية، كلبًا مُطيعًا، بعض الأرانب، قردًا صغيرًا، كما كنا نملك قطًا.

هذا الأخير كان رائعًا، كبير الحجم جميل المنظر، أسود تمامًا، ذكي بدرجة مُدهشة.. حين أحدّث زوجتي الغير مؤمنة بالخرافات عن ذكائه طبقًا للخرافة الشعبية أن كل القطط السوداء هن ساحرات مُتحوّلات. لم تأخذ كلامي بمحمل الجد، ليس لسبب إلاّ أنها سعيدة.. الآن فقط أتذكر هذا.

(بلوتو)، كان هذا هو اسمه، كان حيواني المدلل ورفيق لعبي. وحدي كنت أطعمه، كان يلازمني في أي مكان أذهب إليه داخل المنزل. كان من الصعب جدًا منعه من إتباعي إلي الشارع أيضًا.

استمرت صداقتنا على هذا المنوال لسنواتٍ عديدة، بينما أنزلق رويدًا في هوّة الإدمان، كنتُ أخجل من تصريحي بهذا الأمر، لذا ازدادت حالتي سوءًا. نمت داخلي

يوم بعد آخر العصبية الزائدة وسرعة الغضب وتراخ حواسي عن الشعور بالعالم.. عانيت حقًا من إدماني، لذا عرَّضتُ نفسي للكثير من العنف.

حتى حيواناتي الأليفة شعرت بانحراف مزاجي! لم أهملهم فقط، بل أسأت معاملتهم أيضًا.. أمّا (بلوتو) فلازلتُ مُتعلقًا بـه، مما أعاقني عن إساءة معاملته، لكني لم أتورع عن التعامل بخشونة مع الأرانب والقرد، حتى الكلب لم ينجو مني إن أوقعه حظه العاثر في طريقي.

ازداد مرضي، الخمر أسوأ داء حقًا!!، في النهاية حتى (بلوتو) العجوز الذي زاد هياجه، لم ينج من تعكُّر مزاجي.

عُدتُ للمنزل من أحد أوكار المدينة ذات مرة ثملاً، خُيِّل لي وقتها أن القط قصد تجنبي.. أمسكتُ به، ومن شدة رعبه مني جرحني بأسنانه في عنقي جرحًا طفيفًا.. كأنَّ روح الشيطان تملكتني في تلك اللحظة.. بتلك اللحظة

لم أعرف نفسي! روحي أعدّت عُدتها للتحليق خارج جسدي؛ نما بداخلي ما هو أعظم من الحقد، كل سنتيمتر من جسدي قد استُفز!!

أخرجت مطواتي من جيب صديريتي، أصدر القط مواءً مُرتاعًا بينما أفقأ أحدى عينيه.

"لازال يرتجف "

"أشعر بالخزي"

"هياجه يزيد!"

"أكملتُ عملي الوحشيّ الفظيع!!"

بعدما ذهب عني السكر في الصباح، تذكرتُ ما حدث، واجهت شعورًا مريعًا من الرعب والندم على ما اقترفته يداى. لكنه على أفضل الأحوال ظلّ شعورًا ضعيفًا، فروحي لم تتأثر. بعد قليل انغمست مرة أخرى في النبيذ ونسيت جُرمي.

في هذه الأثناء بدأ القط يتعافى ببطء. وضح تجويف العين، مخيفة هي صورته! لكنه لم يبدُ عليه أي معاناة. عاد للبيت مرة أخرى كما المُعتاد، كان من الطبيعي ارتعابه لمجرد رؤيتي. بقيت بعض مشاعري القديمة التي جعلتني أتألم من هذه الكراهية من قبل مخلوق أحبني

سُرعان ما ترك هذا الشعور مكانه للغضب. ثم جاءت النهاية! إنه السقوط الأخير، إنها روح الفساد التي لم يعرها الفلاسفة اهتمامًا.

لم أعد متأكدًا من عيش روحي داخلي، أم أن روح الفساد جرت في دمي، وأصبحت أساسية في تكويني.

بعدها وجدت نفسي مئات المرات أقوم بأحقر التصرّفات لمجرد علمي أنه لا يجب القيام بها. ألسنا نحمل داخلنا بذرة مخالفة القوانين، لمجرد عدم فهمنا فحسب؟

أستطيع إخبارك الآن بأن روح الفساد قد قضت عليّ!

وجود مثل هذه الروح تجعلني أفعل الخطأ لمجرد أنه

كذلك، أن أترك العنف ينساب على طبيعته، هي ما جعلتني أكمل الجرح. لذا انتزعته في صباح أحد الأيام، وبدم بارد أنزلت أنشوطة دليتها فوق الشجرة وشنقته بها!!

شنقته وعيناي تنزف الدموع، المرارة تمزّق قلبي؛ شنقته لعلمي بحبه لي، لأنه لم يعطني أي سبب لإيذائه؛ فعلتها وأنا مُدرك حقارة إثمي وخطر ما أنزلق إليه. علمت وقتها أنني قد استبعدتُ من قوائم الرحمة الإلهيّة!

لم أنعم بالنوم تلك الليلة بسبب بكائي الحارق.. حتى أغطية السرير كانت تلتهب، المنزل يحترق بالفعل!، أنقذتني زوجتي يومها من الحريق.. خراب البيت قد اكتمل.. كل ما أملكه قد ذهب أدراج الرياح، لأتركُ نفسي لليأس.

أعلم ضعف عزيمتي التي لن تسمح لي بإعادة بنائه مرة أخرى، والسبب هو تأثير الكارثة مع عملي الوحشي.. ولكني أملك سلسلة من الحقائق، تمنيت ألا أترك خيطًا من

الأدلة.. ففي الوقت الذي انتهت فيه النيران من منزلي زرتُ أنقاض منزلي.. تهدمت جميع حوائط البيت باستثناء واحدًا، المنتصب في وسط المنزل أعلى رأسي عند سريري.. هذا الحائط الأسمنتي الحديث الذي قاوم النيران؛ لأنه حديث البناء.. حول هذا الحائط وجدت حشدًا هائلاً من الناس يفحصون كل شبر منه، ويقولون ما أثار فضولي مثل:

- "غريب!"

- "مُتَفَرِّد!"

- "مُذهِل!!"

اقتربت منهم لأرى النقش!

نقش غريب لقط أسود عملاق، منقوش بدقة رائعة، قط أسود بمشنقة فوق رقبته.

تذكرت!! لقد شنقتُه في الحديقة جوار المنزل هذه الليلة. وقت الحريق كانت حديقتي تعُج بالبشر، لابد أن

أحدهم قطع الحبل وألقى بالقط داخل المنزل خلال النافذة أثناء قيامي من النوم.. انهيار باقي الحوائط وضّح لي مدى قوة هذا الحائط، فتكلُّس الحائط مع (الأمونيا) التي أفرزتها الجثة قامت بهذا العمل الفنيّ الذي رأيته.

على الرغم من سعادتي بالتفسير المُريح لضميري، إلا أني لم أشعر بالارتياح قط.. ظللتُ لشهور عدة لا يفارقني شبح القط! عاد إليّ شعوري القديم، لكنه ليس ندمًا، فأسفي على خسارة هذا الحيوان ذهبت أدراج الرياح.. وذات مرة في أحدى الحانات الحقيرة التي أتردّد عليها، وجدت قطًا أليفًا آخر يشبه الأول، بل يطابقه إن شئنا الدقة!

ففي أحدى الليالي أثناء وجودي بهذا الوكر القذر، لفت انتباهي فجأة فوق أحد براميل النبيذ أو (الرّم) -المُشكّلة لأساسات هذا المكان- جسد أسود. ظللت أحدّق فيه لبضع دقائق، فاجئني قُربه مني في تلك اللحظات بالذات! اقتربتُ منه وتحسسته بيدي، قط أسود مُكتنز، يشبه (بلوتو) إلى

حد كبير.. يكاد يطابقه إلا في أمر واحد؛ (بلوتو) كان حالك السواد، أما هذا فيغطي صدره بقعة بيضاء مُتسعة.

بدأت في التربيت على ظهره، بدا سروره جليًا من موائه السعيد الذي أطلقه بصوت عال، ومن حكّ ظهره في يدي.. هذا هو المخلوق الذي كنت أبحث عنه.. عرضتُ شراءه فورًا على صاحب المكان، لكنه لم يعرف عنه أي شيء عنه، بل ولم يسبق له رؤيته من قبل.

ظللت أداعبه، وحينما قررت العودة إلي منزلي تبعني ولم أمنعه من ذلك؛ وكنت أهبط لأربّتُ عليه.. وحينما دخل إلي المنزل كيّف نفسه معه بسرعة فائقة، بل وأصبح الحيوان المُفضّل لدى زوجتي.

لكن من ناحيتي؛ وجدت أني أكرهه، هو الدليل علي فعلتي السابقة! لا أعرف لماذا أصبح مزعجًا ومقرفًا.

ظلّ شعور النفور والانزعاج ينمو بداخلي ببطء، يعلو رويدًا رويدًا حتى تحول إلي ضغينة. تجنبت هذا المخلوق

تمامًا؛ شعوري بالخزي مما اقترفته يداى سابقًا وقف حائلاً دون إيذائه.. ظللت لعدة أسابيع لا أعتدي على أي مخلوق، أصابني هذا بالمرض! بشكل تدريجيّ تحوّل النفور إلي كراهيـة شديدة، بسكوين تجنّبتُ حضوره المقرف كأنه وباء ما.

أكثر ما أزعجني هو اكتشافي بعدها؛ أنـه أعور مثل (بلوتو).. تلك الملاحظة تحديدًا جعلته أكثر قُربًا من لزوجتي، وكما أخبرتك أنها أحبته بشدة.. نفس الولع بالحيوانات الذي كان مصدر سعادتي يومًا!.

كلما زاد كرهي له كلما ازداد قربه مني.. أصبح يتبعني بإصرار يصعُب فهمه.. أينما أجلس أجده تحت الكرسي، يقفز علي قدميّ ليغطيهما ويبدأ بمداعباته المقرفة. حيثما أسير أجده بين قدميَّ شابكًا مخالبه في ملابسي ليبدأ التسلق حتى يصل إلي صدري. رغم أنني في هذا الوقت كنت أتمني تمزيقه أربًا إلا أنني لم أفعل شيئًا، لأن ذاكرتي

تحمل بقايا جريمتي السابقة؛ أو بصراحة أكثر؛ لقد كنتُ خائفًا من الوحش الصغير!

لم يظهر الشرُّ من خوفي بعد، فالحقيقة أنه كان من الأولى أن أرتبك، أن أخجل من امتلاكه، حتى وأنا في زنزانة المجرمين لازلت خزيانًا، فهذا الرعب والفزع اللذان أصابني بهما هذا الحيوان أعظم مما قد يصيبني بهما أيُ مسخ خرافيٌ!!

لفتت زوجتي انتباهي مرارًا للبقعة البيضاء والتي تمثل الاختلاف بين هذا القط والآخر الذي امتلكته وأزهقت روحه. أنها بدأت تتشكّل!! ولقارئ هذه السطور، البقعة لم تكن محددة الشكل إطلاقًا.

لوقت طويل جدًا كان لدي أسبابي لإنكار هذا الافتراض بينما يرسم عقلي خلاصة كل الاحتمالات.. تلك البقعة ما هي إلاّ رسم لجسد بلـ ...

أرتعِد حتى من إكمال النطق!!

لهذا انتويت الخلاص من الوحش الصغير، كان شيئًا شنيعًا يحمل على جسده وشم لصورة قبيحة، شيء مُريع يُحرِّك داخلي مشاعر فظيعة من الرعب والمعاناة.

في الحقيقة لستُ سوى حُثالة!

حطمتُ وحشًا حقيرًا، ولم يتركني أرتاح ليلاً أو نهارًا!! وفي النهاية صرت أحلم به ليسكنني رعب لا يوصف!! أجده جاثمًا فوقي، أنفاسه الحارة علي وجهي، وزنه الثقيل فوق صدري، لم يكن لديّ قوة حتى لنفضه من فوقي، كان يبدو لي أنه سيجثم على قلبي إلي الأبد.

تحت ضغط هذا العذاب لم يتبق لي أي روح جيدة، استسلمت وأصبحت الأفكار الشريرة هي منهاجي، بل أفكارًا أشد شرًا وظلمًا مما يتخيل أحد. تبدّل مزاجي العادي ليصبح سيئًا للغاية، تحوّل لكراهية عامة لكل شيء، حتى البشرية أجمعها؛ تركتُ نفسي للغضب الأعمى، حتى زوجتي التي لا تتذمر أصبحت مثالاً حيًا للصبر

والتحمـّل.

في أحد الأيام رافقتني إلي القبو لقضاء بعض الأعمال المنزلية. فوجئت بأن القط تبعنا للأسفل، ألقي بنفسه بتهوُر عليّ، هذا ما دفعني للجنون. رفعت فأسي ونسيت في غمرة غضبي خوفي منه وعزمت ضربه ضربة واحدة يسقط بعدها صريعًا. لكن زوجتي أوقفت يدي في الهواء، ازداد هياجي بسبب ما فعلته، فورًا وبدون تفكير سحبت يدي من بين يديها ثم خبطتها بالفأس في منتصف رأسها، لتسقط ميتة فورًا دون آهـة واحدة.

أنهيت هذا الفعل القبيح، فورًا بدأت أفكر في كيفية إخفاء الجثة. أدركتُ عدم إمكانيـّة إخفائها خارج المنزل نـهارًا أو ليلاً دون أن يلحظني أحد الجيران. صارت الأفكـار تعربـد في رأسي.

فكرت في تقطيع جثتها لأجزاء صغيرة وإحراقها في الفرن، فكرت في حفر قبر لها في أرضية القبو مـُفكرًا في

المكان المناسب، فكرت في البئر بالساحة جوار الصندوق. لكن حينما يأتي حمال تاجر العاديات، ألن يلاحظ شيئًا؟!

في النهاية وجدت أفضل وسيلة، لأصنع فجوة في الجدار فوق القبو وأضع به الجثة، كرُهبان العصور الوسطي الذين اعتادوا علي وضع الأسوار حول ضحاياهم.

وكأنَّ القبو كان مُعدًا لهدف كهذا، كانت جميع حوائطه كبيرة، فوقها الكثير من الأسمنت الذي منعت رطوبة المكان تصلبُه. كما أن أحد الحوائط بنيت فيه مدخنة بمكان خاطيء. ولم يكن عندي شك من قدرتي على إزالة الجزء المتبقي، أدخل الجثة ثم أعيد بناءه بالكامل مرة أخر، لا يمكن لأي عين أن تلحظ ما يريب.

بالفأس استطعت بسهولة هدم الحائط، وضعت الجثة بداخله وأسندتها بالداخل، بينما كانت المشكلة الحقيقية في إعادة بناء الحائط كما كان.

بعد حصولي على مواد البناء صرت أبني بحرص بالغ،

لأجعل شكله كما كان سابقًا، بعناية بالغة شيّدتُ الحائط الجديد. وعندما انتهيت كنتُ شديد الاقتناع بكمال الأمر، جمعتُ القمامة من علي الأرض جوار الحائط الجديد.

نظرتُ حولي بانتصار وقلت لنفسي:

-"علي الأقل لم يكن عملي دون جدوى"

خطوتي التالية كانت البحث عن هذا الوحش الصغير الحقير.. كنت صممت على تمزيقه أربًا!! كنت قادرًا على مواجهته وقتها، لا شك أن مصيره لن يختلف كثيرًا. لكن يبدو أن الوحش الصغير قد جفل أثناء هياجي السابق واختبأ، لن يظهر لي نفسه الآن علي أية حال.

لا يمكنني أن أصف لك شعوري الحالي أو عمق شعوري بالسعادة لغياب هذا المخلوق المقيت.. لم يظهر خلال الليل، وهكذا لأول مرة منذ قدومه للبيت أنام بهذا الهدوء والعُمق، حتى أنني لم أعذب نفسي بإثم القتل الذي ارتكبته منذ قليل.

مضى اليوم الثاني والثالث ولم يظهر معذبي بعد. تنفستُ الصعداء بينما أحرّر نفسي. لقد أرهبت الوحش حتى ترك المنزل وهرب إلي الأبد، لن أعذب نفسي بعد الآن بعناء انتظاره، كانتَ سعادتي كبيرة، لدرجة أن ما اقترفته لم يزعجني. تمت بعض التحقيقات، ولكني أجبتهم بسهولة. حتى أنهم بحثوا جيدًا، لكنهم لم يكتشفوا شيئـًا بالطبع، وهنـا أخذت أهنئ نفسي على مستقبلي المضمون.

بعد مضي اليوم الرابع من فعلتي، هاجمتني الشرطة فجاة، قامت بتفتيش عاجل للمنزل. كنت مطمئنـًا بأية حال لغموض المكان الذي أخفيت فيه الجثة، لم أشعر بأي خوف. عرضوا عليّ مرافقتهم في البحث. لم يتركوا أي زاوية لم يفحصونها. للمرة الرابعة أو الخامسة هبطوا للقبو. لم يرتجف قلبي، كان نبضي هادئًا كنبض طفل رضيع نائم. تمشيتُ في القبو حتى نهايته. طويت يدي على صدري وتمشيت ذهابـًا وإيابـًا بسلاسة داخل القبو.

ارتضت الشرطة بهذا لأستعدُ للمغادرة، ازداد الاطمئنان

بقلبي الآن. كنتُ علي شفا حفرة من النصر، ولأضاعف من تأمين نصري ناديت عليهم:

-"أيها السادة المحترمين، أنا حقًا سعيد لأن شكوكم قد زالت، أتمني أن تكونوا في صحة وسعادة دائمة، بالمناسبة لقد بنيت بيتي هذا جيدًا".

حاجة مُلحّة أملت عليَّ هذا القول.

-"أنا أقول لكم إنني بنيتُ بيتي هذا جيدًا"

أقودهم نحو الحائط.

-"تلك الحوائط متينة حقًا."

وهكذا أخذت أطرقُ بالعصا فوق الجدار الذي أخفيت فيه الجثة. أجابني بعد ذلك صوت أقرب للبكاء! خافتًا في البداية، ليعلو كنواح رضيع

بعدها انطلقت الصرخة!! عالية مستمرة غير أدمية، عواء غاضب يحمل الانتصار والرعب في الوقت ذاته،

كصراخ المـُعذبين في الجحيم.

أدركت الآن أن أفكاري الخاصة ليست سوى حماقات مـُجرّدة. أصابني الدوار لأستند على الحائط المجاور، بينما تدوي في أذنيّ صوت ضرباتهم عليه.

تهشّم الحائط وتسمـّر رجال الشرطة مكانهم، فقد كان يقف هناك فوق الجرح الأحمر المتخثّر ينظر لي بعينه الواحدة المقيتة. ذلك الوحش الذي دفعني للجنون وسلـّمني صوته للتهلكة.

لقد بنيتُ الحائط فوق الجثة وكان القط بداخله.

* * *

أبو الهول

أثناء اجتياح وباء الكوليرا مدينة (نيويورك)، قبلتُ دعوة أحد أقاربي لقضاء أسبوعين معه في الكوخ الذي تقاعد فيه علي ضفاف نهر (هيدسون). كان حولنا أغلب مظاهر التسلية الصيفية؛ مثل التجول بالغابات، الرسم، التجديف، صيد الأسماك، الاغتسال، سماع الموسيقي، و القراءة، مما يُمضي الوقت بلطف كافٍ، لكن كانت هناك تلك التحريات المخيفة التي تأتينا كل صباح من المدينة الكثيرة السكان.

لم ينقضِ يوم دون أن يأتينا خبر وفاة أحد الأصدقاء. تعلمنا أن قدرنا فقدان الأصدقاء، بالتالي كنا نرتعد مع قدوم كل رسول.. الهواء القادم من الجنوب معبق بالموت.. شلل التفكير في الحقيقة استحوذ علي روحي بأكملها. لم أستطع التكلم أو التفكير أو الحلم بأي شيء آخر. مستضيفي لم يتحمس مثلي، وعلي الرغم من اكتئابه الشديد، ضغط علي نفسه لكي يتحملني.

كان تفكيره الفلسفيّ غزيرًا، لكنه لم يؤثر عليَّ قط. هو كائنٌ حي بما فيه الكفاية، لكن ظلاله لم تحمل روحًا.. مساعيه لإخراجي من غمي الذي سقطت فيه أحبطت بتلك المجلدات الكثيرة التي وجدتها في مكتبته. تلك الشخصية أجبرتني على المضيّ قدمًا في الإيمان بتلك الخرافات التي أحملها في صدري.

قرأت هذه الكتب دون معرفتها، كان معتادًا على الخسارة، مما جعلني أفسر انطباعاتي المسبقة عنه. اعتقادي الشخصي في الإيمان بقراءة الطالع، ورتبت نفسي للرد عليه.

ناقشنا الموضوع كثيرًا، بقت لي الحرية المطلقة في الإيمان بمثل هذه الأمور، كان عندي ذلك الشعور المعتاد للإيمان المطلق بها.. كان عنده الدلائل الواضحة الحقيقة؛ وعندي الحق في احترام ذلك الرجل العبقري.. إنها الحقيقة، فبعد قدومي مباشرة للكوخ حدثت تلك الحوادث العجيبة الغير قابلة للتفسير والتي حملت الكثير لشخص عجيب مثلي، والتي اعتبرتها من حسن طالعي.. ارتبكت

بشكل بشع. انقضت العديد من الأيام قبل تمكني من إبلاغ تلك الأمـور لصديقي.

قـُرب انتهاء ذلك اليوم الدفيء، جلستُ بيديّ كتاب قرب احدي النوافذ المفتوحة، أتطلّع لضفاف الأنهار وذلك التل البعيد، المنظر قـُربي.. تعرَّى الجزء الأكبر من أشجاره بتلك المنطقة القريبة من الأرض. أفكاري ظلت تحوم حول الخراب الذي عـَمَّ المدينة المجاورة.

رفعتُ عيوني من علي الصفحة، لتسقط فجأة فوق تلك الرقبة والمنقار، علي بعض أجزاءِ من جسدِ وحشٍ قبيح، الذي شق طريقه بسرعة هائلة من القمة إلي القاع ليختفي تحت ظلال الغابة الكثيفة.. اختفى هذا المخلوق بلمح البصر، بداية شككت بسلامة عقلي، أو علي الأقل في خداع النظر، ولعدة دقائق ظللت أفكر حتى تأكدت أنني لم أهذي أو أحلم.

رغم ذلك حينما تذكرت سيمات الوحش، الذي رأيتهُ بوضوح؛ خفت ألا يصدقوني، خاصة وأني أشعر بصعوبة

الاقتناع بما رأيت.. وقياس حجم المخلوق نسبة للأشجار جعلني أقدر أنه أكبر من أي سفينة على وجه الأرض.

حددتُ موقعَ فم الحيوان بخرطومه البالغ طوله من ستين إلى سبعين قدمًا، سميكٌ كخرطوم الفيل، يغطي جسده - شبيه الصندوق - شعرٌ أشعثٌ أسود، أكثر مما يغطي جلود الجواميس البرية.. بفمه نابان كأنياب الخنزير البري، وإن كانا متباعدين عن بعضهما، ممتدان على التوازي وبينهما الخرطوم، وعلى كلا الجانبين هناك صفُ أسنانٍ بلورية عكستْ أشعة الشمس. كان يشبه الوتد المغروس في الأرض. فرد جناحين مقوَّسين يبلغ طول الواحد منهما حوالي مائة متر. بدا واضحًا أن كل قوس يبلغ طول قطره من ثلاثة إلى أربعة أمتار.

لاحظتُ أنّ الجزء الأعلى من أجنحته موصولٌ بسلاسل قوية. ولكن المروِّع بهذا الشيء هو رمز الموت الذي غطى كامل صدره، المُتدرِّج من الأبيض النقيّ حتى الأسود الحالك، كما لو أنها صمّمت على يدِ فنانٍ قدير.

رجفتُ فور رؤية علامة الشر على صدره كشعور مستحيل القمع، أدركتُ باتساع فكه الضخم بشكل غير عادي، كما صدر منه هذا العواء!!

بمجرد اختفائه أسفل التل سقطتُ مغشيًا عليّ، بالطبع كان علي إخبار صديقي بما رأيت وسمعت، بما أصابني بذلك الاشمئزاز الرهيب.

بعد ثلاثة أو أربعة أيام كنا بنفس الحجرة، أحتل صديقي نفس المقعد الذي جلستُ عليه بذات الوضع، بينما كنت أتسكع قريبًا منه.

سردتُ له، في البداية ظل يسمعني وعلي وجهه ابتسامة هادئة، فجأة بدأ ينظر لي بنظرة غريبة كأني مجنون. في هذه اللحظة رأيتُ الوحش مرة أخري، سمعت صوته، لفتُّ انتباهه نحوه ولتلك الصيحة، لكنه زعم أنه لم يرَ أيَّ شيء، رغم رؤيتي الواضحة له وهو يشق طريقه نحو أسفل التل.

قَلِقتُ بشدة، اعتبرتُ رؤيتي له طالع موتي، استسلمت

لذلك الهوس، ألقيتُ نفسي بشكل مُثير الشفقة ودفنت رأسي بين ذراعي. عندما رفعتُ رأسي لم أجد أثرًا للضوء. ظل مضيفي على هدوئه، استجوبني بصرامة حول ما يتعلق بالمخلوق.. عندما أقتنع باستنتاجي، تنهّد بعمق كما لو أنه مرتاح لهذا، أكمل كلامه برصانة، وهو ما اعتبرته هدوءًا قاسيًا، ظل يناقشني حول استنتاجي.

أتذكر الإصرار علي الخطأ والاختلاف بين شخصين في المبدأ - التي هي مشكلة الإنسانية في الفهم الخاطئ - المؤثر على الإدراك؟ علي سبيل المثال تأثير الديمقراطية علي البشرية بانتشارها الشامل، انتشار كهذا لا يُحتمل! رغم ذلك هل تخبرني عن كاتب واحد ناقش الموضوع مع الحكومة ؟! مع أنه موضوعٌ يستحق المناقشة.

هنا وقف ثم توجه إلي المكتبة، أخرج منها كتابًا عن التاريخ الطبيعي، طلب مني تبادُل الأماكن معه، استند إلي حافة كرسيه، فتح الكتاب واستأنف حديثه بنفس النغمة السابقة.

-" بدقتك البالغة في وصف هذا الوحش، لن أستطيع

الاستمرار في خداعك.. إليك هذا! في البداية دعني أقرأ عليك شجرة عائلة (أبو الهول) التي لا يعرفها أحد؛ صُنِّفَتْ على أنها حشرات حُرشفيَّة تافهة.. هذا هو شكلها: أربعة أجنحة غشائية مقوّسة بنفس الشكل، الفم علي هيئة خرطوم يقع أسفله فم. علي الجوانب تجد صفوف الفك. كما أنه يغطيها الريش. كما احتفظتْ الأجنحة الغير رئيسية بشعر متصلّب؛ كان شكلُ أبو الهول بشعًا ويُشكِّلُ الموتَ بفظاظة، ذلك النوع الأسود المُبكي منه.. خصوصًا مع شارة الموت علي صدره."

أغلقَ الكتابَ في تلك اللحظة واستندَ بالكرسي للأمام، ثم صاح فجأة:

-"هاهو ذا!"

نظرتُ للوحش الذي لم يبد بالضخامة التي تصوّرتها، طوله لم يتعدى الأربعين سنتيمترًا!

يصعد علي خيط العنكبوت من فوق النافذة ويعبر أمام بؤبؤ عيني تمامًا.

برميل الأمونتيلادو

جرحني (فورتانتو) كثيرًا، لكن حينما أهانني هذه المرة أقسمت أن أنتقم منه.. من يعرفني جيدًا لن يتخيل كيف تحملت تلك الإهانات. في النهاية قررت الانتقام؛ هذا ما استقريت عليه، لكني لم أمتلك أي خطة.. يجب أن أعاقبه دون أن يكتشف أحدٌ أي شيء.

هذا الخطأ لا يمكن إصلاحه لأنه أوصلني لمرحلة الأخذ بالثأر؛ هنا يجب علي أن أنتقم منه..

قررت ألا أجعل (فورتانتو) يشعر بنيتي تلك، لذا استمريت في الابتسام في وجهه، لم يدرك هو أن هذه الابتسامه تداري فكرة التخلّص منه.

فهذا الـ(فورتانتو) بعيدًا عن أي شيء؛ رجل محترم ومستقيم.. دومًا ما يفتخر بكونه خبيرًا في النبيذ، القلّيل من الإيطاليين هم من يملكون الموهبة الحقيقية وهو أحدهم.. أكثرهم يعتمد علي انتهاز الفرص المناسبة، لخداع الأثرياء البريطانيين والنمساويين. (فورتانتو) لا يختلف عن

مواطنيه كثيرًا، لكن فيما يتعلق بالنبيذ كان صادقا.. لم أكن أقل منه في هذا المجال؛ كنت ماهرًا في الخمور الإيطالية، أشتري منها كميات كبيرة كلما تحين الفرصة.

في أحد أيام الاحتفالات وحينما قاربت الشمس على المغيب قابلته، بادرني بالكلام، كان يشرب كثيرًا.. يلبس زي المهرجين، لباسًا ضيقًا مخططًا، وغطى رأسه بقبعة ذات أجراس مخروطية. كنت سعيدًا جدًا بمقابلته في هذه اللحظة.

قلت له:

- "عزيزي (فورتانتو) يالا حظي الحسن لرؤيتك الآن.. فقد حصلت على برميل من الآمونتيلادو، لكن لدي بعض الشكوك حوله"

أجابني باستنكار واضح.

- " كيف؟!! برميل من الآمونتيلادو في منتصف المهرجان هذا مستحيل!!"

أجبته:

- "أخبرتك أني لدي شكوكي، كنت سخيفا جدًا لدفع ثمنه بالكامل دون استشارتك. لكني لم أجدك وخفت أن أفقد الصفقة"

- "الآمونتيلادو!!"

- "نعم أخبرتك أنه لدي شكوكي"

- "الآمونتيلادو!!"

- " نعم وقد دفعت ثمنه."

- " الآمونتيلادو!!"

-" نعم، كنت في طريقي إلي (لشيرزي)، بالتأكيد سيخبرني إن كان هذا آمونتيلادو أم لا."

- " (لشيرزي) الأحمق لا يستطيع إخبارك؛ فهو لا يستطيع التفريق بين الآمونتيلادو و الشيري. وبعض الحمقى سوف يخلطون بينهما لتشابه طعميهما، هيا بنا نذهب."

- " إلي أين ؟؟"

- " إلي مخزنك"

ـ " لا يا صديقي أنا أعلم كرم أخلاقك لذا لن أثقل عليك.. كما أنني أعلم أنه عندك بعض ارتباطات العمل."

ـ " لا، لا توجد عندي أي ارتباطات. هيا بنا"

ـ " يا صديقي إن المخزن بارد جدًا كما أنك مريض والمخزن شديد الرطوبة أيضا، كما أنه مغطي بالنشادر."

ـ " دعنا نذهب يا صديقي فالبرودة شيء بسيط بالمقارنة بما فعله بك هؤلاء الذين لا يستطيعون التفريق ما بين الآمونتيلادو والشيري."

هكذا تكلم ؛ ثم تأبط ذراعي ووضع قناعه فوق وجهه، ظل يمدحني طوال الطريق، تعجله لي هو ما ضايقني.

لم يكن هناك أحد بالمنزل؛ خرجوا جميعًا ليمرحوا في مثل هذا الوقت من المهرجان. أخبرتهم بأني لن أعود إلا في الصباح، وطلبت منهم ألا يغادروا المنزل. كان هذا كافيًا ليختفوا تمامًا بمجرد أن أدير ظهري.

أخذت من الشمعدان شمعتين، أعطيت أحداهما (لفورتانتو)، ثم سرت أنا وهو خلال أجنحة المنزل حتى وصلنا للطابق الذي يؤدي إلي المخزن. عبرنا أسفل السلم،

طلبت منه الحذر لأن السلم الذي سنعبر فوقه طويل ومتعرج، في النهاية هبطنا ووقفنا سويًا في بداية المخزن الموجود بالقبو.

مشيته غير مستقرة، كما أن الأجراس فوق قبعته كانت تجلجل كلما تحرك.

قال لي:

- "البرميل"

قلت له:

- "إنه بعيد قليلاً، لكن احذر شباك العنكبوت التي تتدلى من حوائط الكهف."

دار نحوي ونظر إلي، بعينيه الشبيهتين بجرمين سماويين، اللتان دمعتا من أثر الدخان.

سألني أخيرًا:

- " نشادر..؟؟!!"

أجبته:

- " نعم نشادر، يبدو أنك تسعل..؟؟!!"

أخذ في السعال ، كان من المستحيل أن يرد علي لعدة دقائق. قال أخيراً:

- " لا توجد مشكلة."

قلت له:

- " هيا بنا نخرج من هنا، صحتك أهم أنت رجل غني، محترم، محبوب لن نحتمل فقد رجل مثلك. نحن سنعود لا يمكن أن أكون مسئولاً عن هذا، سأذهب إلي (لشيرزي)."

قال لي:

- " كفي ، لن أموت من السعال."

أجبته:

- " حسنا حسنا، في الحقيقة لم أنتوي إقلاقك، لكن يجب أن تحذر فتيار الهواء هنا بسبب رطوبة عالية."

هنا نزعت غطاء زجاجه انتزعتها من جوار زميلاتها.

قلت وأنا أقدم له النبيذ:

- " اشرب!!"

أومأ لي بطرقة حميمة وهو يرفعها إلي شفاهه بينما أجراس قبعته تجلجل.

ثم قال:

- " أنا اشرب، في صحة هؤلاء الأموات."

قلت له:

- "في صحة حياتك الطويلة."

تأبط ذراعي مرة أخري، ومضينا.

سألني:

- "هل هذه المدافن عامة؟"

أجبته:

- "لا إنها عائلية، لقد كانت عائلة عظيمة."

قال لي:

- " وهذا الوشم علي ذراعك"

قلت له:

- " تقصد تلك القدم العملاقة وحقل الذرة حولها وهي تسحق ثعبانا قد اخترقت أنيابه كعب تلك القدم. إنها رمز العائلة."

سألني:

- " والغرض منها؟؟"

أجبته:

- " تذكيري بألا أكذب."

قال:

- "رائع."

تألق النبيذ في عينيه، جلجلت الأجراس. مررنا خلال الجدران الطويلة المكونة من الهياكل العظمية والبراميل الخشبية مختلطة ببعضها البعض. دخلنا إلي المدافن العميقة. في هذه اللحظة صممت علي قتل (فورتانتو)،

شددت علي ذراعه من فوق المرفق.

قلت له:

- "النشادر..!!، نحن الآن أسفل النهر، الرطوبة قد زادت، ستتخلل عظامك، هيا بنا نعود نحن متأخرون جدًا كما أن سعالك..."

قاطعني قائلاً

- "لا شيء لا شيء، لكن قبل أن نسير أعطني جرعة أخري من النبيذ."

أعطيته القنينة أفرغها في حلقه، ثم ألقاها لتتكسر فوق أحد القبور، لمعت عيناه بضوء عنيف مع إيماءات لم أفهمها.

قال لي:

-" أنت لا تفهم؟"

أجبته:

- "ليس أنا"

- "حسنًا أنت لست من الأخوية؟"

- "كيف؟"

- "أنت لست ماسوني؟"

- "نعم أنا منهم."

قال لي:

- " العلامة.. العلامة "

أجبته "إنها هي وأريته إياها من تحت طيات ملابسي ولمحها وهي أكثر فخامة." .

أرتد بعد خطوات للخلف وقال:

- " يالها من نكتة ولكن دعنا نمضي إلي الآمونتيلادو."

قلت له:

- " لك ذلك"

اتكأ علي ذراعي مرة أخري وواصلنا سيرنا نحو الآمونتيلادو. مررنا بسلسلة أقواس منخفضة ثم بسلسلة

ثانية فثالثة، حتى وصلنا إلي سرداب عميق كريه كادت رطوبته من أن تطفي شمعتينا.

ظهر في نهاية القبو بعيدًا سرداب أخر أقل اتساعًا من الأول، وضعت علي جدرانه بقايا بشرية، كانت الهياكل العظمية تلبس أزياء باريس العظيمة. ثلاثة حوائط من هذا السرداب ظلت علي حالها، بينما الحائط الرابع قد تبعثرت عظامه بشكل عشوائي، في هذا الجدار يوجد تجويف ما عمقه أربع أقدام وعرضه ثلاثة وارتفاعه سبعة أقدام، شكله يبدو منه أنه صنع لغرض ما، هذه الفجوة كانت بين دعامتين كبيرتين لسقف السرداب. حاول فورتانتو بشتى الوسائل أن يرفع مصباحه ليستكشف ما بداخل الفجوة، ولكن دون جدوى.

قلت له:

- " أدخل إن برميل الآمونتيلادو بالداخل، أما بالنسبة لهم..."

قاطعني قائلاً:

- "إنهم حمقي لا يفقهون شيئًا."

دخل إلي الفجوة بقلق كنت أنا في أثره، وحينما وصل إلي أخر المكان كنت أنا ورآه وفجأة قيدته بالصخرة، وقف بشكل غبي أمامي. في اللحظة التالية قيدته تمامًا عبر المشبكين اللذان كانا هناك علي خط أفقي واحد ويبعدان عن بعضهما حوالي القدمين. قيدته بالسلاسل وألقيتها خلف خصره كان متحيرًا ولم يبد مقاومة تذكر. أغلقت القفل وأخذت المفتاح وتراجعت للخلف أخيرًا.

قلت له

- "مرر يدك ستشعر بالنشادر ستشعر برطوبتها، أتركني مرة أخري أناشدك بالعودة، لكن قبل أن امشي دعني أقدم لك بعض الخدمات البسيطة."

قال وهو لم يفق من دهشته بعد:

- " الآمونتيلادو!!"

- "نعم الآمونتيلادو"

كنت أكلمه بينما أنا أزيح العظام عن أدوات البناء لأبدأ ببناء الحائط مرة أخري فوق مدخل الفجوة.

عندما بدأت بوضع الصف الأول، بدا لي كأن فورتانتو بدا يفيق من سكره. بدا وكأنه يبكي بالداخل، لم يكن بكاء رجل سكران أبدًا.

صمت بينما أنا أضع الصف الثالث والرابع. بعد ذلك بدأت أسمع اهتزازات السلسلة العنيفة، استمرت الضوضاء لعدة دقائق كنت استمع خلالها في رضا تام.. جلست أستمع قليلاً حتى هدأت الضوضاء.

استأنفت مرة عملي مرة أخري، بنيت الصف السادس والسابع حتى لم يتبق إلا جزء بسيط سلطت الضوء عليه بالداخل.

فجأة تعاقبت الصرخات والصيحات، ما جعلني أرتد للخلف بسرعة. لوهلة ترددت وارتعدت وأخرجت خنجري وبدأت أتلمس به جدار الفجوة؛ لكن فكرت للحظة فاطمأننت.

هكذا رددت علي صياحه بصياح أعلي وأعلي، لكن رغم صياحي ظل يصيح هو أيضًا.

قارب عملي الانتهاء عند منتصف الليل.

أكملت الصف التاسع والعاشر والحادي عشر، بقي هناك جزء صغير لم تكن هناك حجارة ملائمة لمكانه. أخذت اضبط الحجارة حينما سمعت فجأة صوت الضحكات، ضحكات منخفضة جعلت شعر رأسي ينتصب.

كانت قادمة من خلف الجدار.. ضحكات حزينة ليست مثل ضحكات فورتانتو النبيلة.

-"*ها ها ها ها* هو هو هو هو.. في الحقيقة دعابة ممتازة، نكتة جيده جدًا، سيكون عندنا الكثير من الحكايات حول المدفأة ونحن نشرب النبيذ"

قلت له:

- " الآمونتيلادو."

-" ها ها ها ، نعم الاآمونتيلادو ولكن دعنا نذهب الآن فلقد تأخرنا. لابد أن زوجتي والباقون بانتظارنا.

قلت له

- " نعم سوف نذهب"

-"من أجل حب الله (مونترسور)"

أجبته

- "نعم من أجل حب الله"

أصغيت بعد هذه الكلمات فلم أسمع صوته، وضعت المصباح في الفرجة الباقية، وجدته هناك ملقي، وسمعت صوت أجراسه؛ إن الرطوبة عالية. لابد من أن أعجل عملي، ضبطت الحجارة الأخيرة ووضعتها في مكانها أخيرًا، ثم أعدت نصب جدار العظام مرة أخري.

* * *

وطوال نصف قرن لم يزعجه أحد.

* * *

حفلة الموت الأحمر

خرّبَ (الموت الأحمـر) مدينتنا طويلاً، لم يأتنا وباءٌ بهذا الفتك أو بتلك الشناعة قبلاً.. كان الدم علامته، يتبعه نزيفٌ حادٌ يصفّي الدماءَ من الجسد.. وبقـعٌ قرمزيـةٌ بشتى أنحـاء الجسم والتي تتركز على وجه الضحية، تجعل حتى التعاطف مع المريض صعبًا لبشاعة مظهره، ولأن الأمـر كله لا يـأخـذ أكثر من نصفِ ساعـة لإنهـاء عملـه..

لكن الأمير (بروسبيرو) لم يكترث بهذا.. فحينما قضى الوباءُ علي نصف سكان أراضيه دعا إلي حضرته الملكية ألفًا من أصدقائه، ما بين فرسان قصره الأصحّاء ونسائه الجميلات.. هذا البناء العظيم الرائع الذي أبدعـه الأميرُ غريبُ الأطوار.. أحاط القلعة بسورٍ قويٍ شامخ حديديّ، مزاليجُ الأبوابِ غير قابلة للفتح؛ حيث صهرهـا خدمُ الأمير بمطارقٍ ضخمة وأفرانٍ عالية الحرارة.. فقد صمّم الأميرُ على منع خروج أو دخول أي شخص لقلعتـه سوى المدعوين خشية الوبـاء.

وفَّـر الأميرُ جميعَ المؤن الضرورية لِتُحَـدّ دخول العدوى فيما بينهم.. يمكن للعالم الخارجيّ الاعتنـاء بنفسه، ففي ظروف كتلك لا وقت لرفـاهية التفكيـر أو الحزن.. كمـا زُوِّدُوا بكافـة وسائل الإمتاع؛ فها هو المهرج الذي يرتجل المواقفَ المُضحِكة، وهنـا صالات الرقص والفرقة الموسيقية، كما يوجد الكثير من النسـاء الجميلات والنبيذ.

كل تلك الاحتياطيات جعلتْ القصرَ أكثر الأماكن أمنـًا.

استمرَّ الضيوفُ في عزلتهم متناسينَ الموتَ الأحمر.. وقرابة انتهـاء الشهـر الخامس، دعـا الأمير أصدقاءَه لحفلةٍ تنكرية ضخمة ليس لهـا مثيل، أمّـا الخـارج فكان الموت الأحمـر يحتفـل بطريقته الخاصة!!

لكن دعوني أخبركم أولاً بشأن الأجنحة الإمبراطورية السبعة التي تنوعت أماكنها في سائر أنحاء القصر مكوِّنـة صورة عبقرية، عندما تنزلق أبوابها المطويـَّة عائدة قـُرب الحوائط على الجانب الآخر؛ يتغيَّر المشهد بأكمله. هذا يوضح ذوق الأمير الغريب؛ الأجنحة غير منتظمة بحيث لا تشاهد إلاّ جناحًا واحدًا في المرة.. هنـاك دورة حادة كل عشرين أو ثلاثين مترًا من الجانب الأيمن إلي الأيسر، في

منتصف الحائط تمامًا توجد تلك النافذة القوطية التي تطل على الممر.

صُنِعَتْ هذه النوافذ من الزجاج الملون، الذي تدرجتْ ألوانه لتنسجم مع ديكور الحجرات حينما تنفتح. الجناح الشرقي علي سبيل المثال يُسمَّى بالجناح الأزرق.. الأزرق المفعم بالحيوية كان لونَ نافذته.

الجناح الآخر كان أرجوانيًا في زينته، كذلك المفارش الموجودة به، كما اتسمَ زجاجُ الجناح بنفس اللون.

الجناح الثالث أخضر علي طول الجناح ونوافذه.. الجناح الرابع مؤثَّث بالبرتقاليّ وكذلك إضاءته. الخامس أبيض، والسادس بنفسجيّ.

الجناح السابع.. يَغرقُ جزءٌ منه في الأنسجة المخملية السوداء ذات النقوش العالقة على الجدران، الأرضية مُغطاة بسجاد من نفس النوع والشكل، لكن لون الزجاج بهذه الغرفة لم يتناسب إطلاقًا مع ديكور الغرفة.. فلون الزجاج كان قرمزيًا ذلك اللون الدمويّ القاتم.

مع كل هذا الإسراف والترف من الحُلي الذهبية التي تدلتْ من الأسقف فليس هناك أي إضاءة، لا يوجد ضوءُ

مصباح أو شمعة بتلك الأجنحة.. لكن خلف كل نافذة في تلك الممرات، كان ذلك الحامل الثلاثيّ الثقيل يحمل الموقد النحاسيّ التي تظهر أشعته خلال الزجاج لتنير المكان.. شكّل العديد من المظاهر المُبهجة الرائعة.. لكن وهج النار الدمويّ بالغرفة الخلفيّة الغربية كان مُقبضًا إلى أبعد الحدود، يخترق الستائر الداكنة عبر الألواح المُتشحة بلون الدم صانعًا تأثيرًا شيطانيًا يبعث شعور الوحشة داخل نفس من يحاول دخولها، لذا لم يجسر الكثيرون على وضع أقدامهم هناك.

على الجانب الشرقي كانت تلك الساعة العملاقة المصنوعة من خشب الأبنوس، كان بندولها يتراقص بشكل رتيب ممل؛ عندما تنقضي ساعة يصدر منها صوتٌ عالٍ عميق موسيقيّ، كلما دقّ الصوت توقفتْ الفرقة الموسيقية عن العزف وبالتالي يتوقف الرقص؛ كان هذا الأمر البسيط يربك المتعة كلها؛ كل دقة لتلك الساعة تُشحب أولئك المستهترين أكثر، ويبدو أولئك الكهول الحكماء كما لو أنهم في أحلام يقظة.

لكن الضحك الخفيف يبدأ في العودة عندما يختفي

الصوت، ينظر أعضاءُ الفرقة الموسيقية لبعضهم، يتعاهدون فيما بينهم ألا يبدون مثل هذه العواطف عند دقة الساعة التالية.. وبعد مرور ستة أشهر- ما يُعادل ثلاثة آلاف وستمائة ثانية – لازالت دقاتُ الساعة تسبب نفس شعور الخوف والشحوب.

بالرغم من كل هذا هناك الفرح، فذوق الأمير كان غريبًا، يمتلك عينًا خبيرة لاختيار الألوان وتناسقها وتأثيرها، لكنه تجاهل الديكور للأزياء المجردة، كانت خططه جريئة ونارية، مفاهيمه، أفكاره كانت متوهجة وبربرية.. هناك الكثيرين ممن قالوا عنه إنه مجنون، لكن خدمه كانوا يظنون العكس.. يجب عليك أن تراه، تسمعه، تلمسه لتدرك أنه ليس كذلك.

إنه صاحب وجهة نظر في هذه الزخارف المتحركة للسبع أجنحة لمناسبة هذا المهرجان العظيم؛ كان متأكدًا من أنهم في شيء خيالي. كان هناك الكثيرُ من الوهج، التألق، الحدة، الوهم، أكثر من تلك التي شوهِدتْ في (هيرناني) تلك التشكيلات من الأرابيسك.

كانت هناك ميولٌ جنونية مثل تصرفات هذا الرجل

الغريب وملابسه، صنع الكثيرَ من العبث، الكثيرَ من الأعاجيب، بعضَ المشاق وليسَ الكثير منها والتي ربما أثارت اشمئزازهم.. طاردته الحقيقة والأحلام ذهابًا وإيابًا في الأجنحة السبعة، هذه الأحلام جعلته يدخل ويدور في الأجنحة والتسبب في النغمات الهائجة للأوركسترا.. عما قريب أضربتْ الساعة الأبنوسية الموجودة في القاعة المخملية.. بعد ذلك توقف الكلُ ليصغوا لصوت الساعة الكئيب.

توقفتْ وتصلبتْ الأحلام، لكنّ أصداءَ الصوتِ قد خبت وعاد الموسيقيون، وعادتْ الأحلام لتعيش، وعاد الناس لمرحهم بشكل أكبر من السابق.

لكن الجناح الغربي؛ لا يوجد أحد من المتنكرين غامر بدخوله سواه، الليل يتضاءل بعيدًا؛ تدفق الضوء الأكثر احمرارًا من خلال الزجاج الدموي، بالنسبة له هو الذي خطا فوق السجادة السوداء التي غطت لكي لا يصل وقع أقدامه لآذانهم التي غرقت في الملذات في الأجنحة الأخرى.

الأجنحة الأخرى كانت مزدحمة بشدة، كانت تنبض بالحياة.. لكن الضحك الآن بشكل ملتف فهم سيستهلون

منتصف الليل بعد قليل وعلي صوت الساعة.

كما أخبرتك حدث ما حدث من قبل توقفت الموسيقي، هدأ الرقص؛ توقف كل شيء باضطراب.. الآن هناك اثنتي عشرة دقة لتسمعها من جرس الساعة؛ هذا حدث ربما ليغزو الفكر عقل أولئك الذين ابتهجوا.. هذا ما حدث وقبل أن تنتهي الدقة الأخيرة غرق المكان في صمت تام، كان هناك الكثير الذين وجدوا الفراغ ليقلقوا بشأن حضور هذا المقنع الغريب الذي لفت انتباههم وأثار قلقهم بشكل لم يحدث من قبل.

انتشرت الإشاعة حول ظهوره فيما بينهم، ظهر هذا بالتفصيل من خلال الدندنة التي حدثت في القاعة إثر المفاجأة التي أثارت رعبهم، قلقهم، اشمئزازهم.

من المفترض ألا يكون هناك أي ظهور غير اعتيادي لكي لا يثيرهم. حرية هذه الحفلة التنكرية كانت غير محدودة هذه الليلة، لكن منظر هذا الغريب تجاوز الحدود حتى لياقة الأمير وحشمته الغير محدودة.

تحمس أولئك الرومانسيون.. حتى ذلك المجنون الذي لا يأخذ الأمور علي محمل الجد لم يستطع أن يفعل هنا شيئًا.

تشاركوا جميعًا في مشاعرهم حول رداء الغريب دون أن يدركوا أو يحاولوا فعل أي شيء.

هذا الغريب كان طويلاً، كئيبَ المنظر، أغرق نفسه من رأسه حتى أخمص قدميه برداء المقابر، ذلك القناع الذي يرتديه يُخفي وجهه لذا كان يشبه الجثة المصلوبة، من يقترب منه لا يمكنه أبدًا كشف ما تحت قناعه.

كان من الممكن احتمال كل هذا لولا أن التفَّ بعضُ المجانين حوله.. لكنه ظل صامتًا، تحرك كما يجب كونه نسخة الموت الأحمر.. فرداؤه ملطخ بالدماء، كل معالم قناعه كانت تنطق بالرعب القرمزي.

حين وقعت عين الأمير (برس بيرو) علي هذه الصورة القرمزية (مع تحركه البطيء المهيب مثل ما يتمشى مع قوانينه وهو يتمشى ذهابًا وإيابًا بين المحتفلين) شوهد يتشنج ويرتعد بقوة في اللحظة الأولي، لكن لم يرهبه مظهر الغريب أو ينفر منه.

سأل خدمه الذين يقفون بالقرب منه:

- "من يجرؤ!! من يجرؤ علي إهانتنا بمثل هذا السخرية والتجديف؟ يجب أن نمسكه ونكشف القناع عن

وجهه القبيح لنعرف من هذا الذي سنشنقه عند شروق الشمس."

أطلق الأمير كلماته وهو بالجناح الشرقي الأزرق، جري بعد ذلك خلال السبعة أجنحة، الأمير رجلاً جريئا، قويّا، هدأتْ الموسيقي بإشارة منْ يده.. إنه الجناح الأزرق الذي كان به الأمير مع خدمه الشاحبين بجواره.. في البداية، حينما بدء يتكلم؛ تحركت المجموعة للإمساك بهذا الغريب، لكن مع تحركه البطيء ابتعدوا.

مع خوفهم منه، نجد أنه الآن لا يوجد أحدٌ من الحضور يفكر في إلقاء القبضْ عليه؛ لذا لم يكن هناك أيُ عائق ليبتعد عن الأمير بقدر كبير، من كل هذا الجمع الكبير لم يستطع أحدٌ تتبعه؛ فقد انكمش الجميع من مراكز الغرف إلي الحوائط خلفهم وبدأ هو يشق طريقه بشكل مستمر، بنفس طريقته المعهودة، تبعه الأمير من الأزرق إلي الأرجواني، من الأرجواني إلي الأخضر، من الأخضر إلي البرتقالي، من البرتقالي إلي الأبيض، حتى من الأبيض إلي البنفسجي مع إصراره علي اعتقاله.

وضح أن الأمير استبد به الضيق والخزي من ذاته، مع اختراقه الست أجنحة ولم يتبعه أحدّ فقد أستولي عليهم جميعًا الرعب المميت.. لذا فقد استل سيفه وتقدم بسرعة وتهور حتى أنه لم يصبح بينه وبين الغريب سوي ثلاثة أو أربعة أمتار، بينما الأخير تَخطي أغلب الجناح المخملي السابع دار فجأة وواجه الأمير.. سمع الجميعُ صوتَ بكاء حاد، سقط السيف وظهر لمعانه علي السجادة، بعد ذلك فورًا سقط الأمير جثة هامدة.

مع موت الأمير استدعى الحضور اليانسون شجاعتهم للهجوم علي الغريب، الذي وقف شامخًا في ظلال الساعة الأبنوسية. لهث الجميع من الرعب، علي وجهه قناع الجثة الذي عولج بعنف ووقاحة شبه ملموسة.

أقر الجميع بحضور الموت الأحمر، جاء في الليل مثل اللصوص. بدأ الجميع في التساقط واحدًا تلو الأخر في تلك الأجنحة المبللة بدمائهم، سقط كل من في هذا الموقف اليانس، ماتت الفرحة.

صوت الساعة قد خبا..

انطفأت نيران الحوامل الثلاثية..

أصبح الموتُ الأحمرُ هو سيدَ الموقف..
سيده بلا منازع.

* * *

العدد القادم:

1408

ستيفن كنج